مجلة العلوم الإنسانية

علمية محكّمة - نصف سنوية

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب . ليبيا

12

العدد الثاني عشر

مارس2016م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ

صدق الله العظيم

(سورة الرعد - آيه 17)

هيئة التحريـــــر

- د. علي سالم جمعة رئيساً
- د. أنور عمر أبوشينة عضواً
- د. أحمد مريحيل حريبش عضواً

المجلة علمية ثقافية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة المرقب /كلية الآداب الخمس، وتنشر بها البحوث والدراسات الأكاديمية المعنية بالمشكلات والقضايا المجتمعية المعاصرة في مختلف تخصصات العلوم الانسانية.

- كافة الآراء والأفكار والكتابات التي وردت في هذا العدد تعبر عن آراء أصحابها فقط، ولا تعكس بالضرورة راي هيئة تحرير المجلة ولا تتحمل المجلة اية مسؤلية اتجاهها.

تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

هيئة تحرير مجلة العلوم الانسانية

مكتب المجلة بكلية الآداب الخمس جامعة المرقب

الخمس /ليبيا ص.ب (40770)

هاتف (00218924120663 د. على)

(00218926724967 د .احمد)- أو (00218926308360 د. انور)

البريد الالكتروني: journal.alkhomes@gmail.com

صفحة المجلة على الفيس بوك: journal.alkhomes@gmail.com

قواعد ومعايير النشر

-تهتم المجلة بنشر الدراسات والبحوث الأصيلة التي تتسم بوضوح المنهجية ودقة التوثيق في حقول الدراسات المتخصصة في اللغة العربية والانجليزية والدراسات الاسلامية والشعر والأدب والتاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم الاجتماع والتربية وعلم النفس وما يتصل بها من حقول المعرفة.

-ترحب المجلة بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية المقامة داخل الجامعة على أن لا يزيد عدد الصفحات عن خمس صفحات مطبوعة.

-نشر البحوث والنصوص المحققة والمترجمة ومراجعات الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية ونشر البحوث والدراسات العلمية النقدية الهادفة إلى تقدم المعرفة العلمية والإنسانية.

-ترحب المجلة بعروض الكتب على ألا يتجاوز تاريخ إصدارها ثلاثة أعوام ولا يزيد حجم العرض عن صفحتين مطبوعتين وأن يذكر الباحث في عرضه المعلومات التالية (اسم المؤلف كاملاً- عنوان الكتاب- مكان وتاريخ النشر-عدد صفحات الكتاب-اسم الناشر- نبذة مختصرة عن مضمونه- تكتب البيانات السالفة الذكر بلغة الكتاب).

ضوابط عامة للمجلة

ـ يجب أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي النزيه الهادف ويحتوى على مقومات ومعايير المنهجية العلمية في اعداد البحوث.

- يُشترط في البحوث المقدمة للمجلة أن تكون أصيلة ولم يسبق أن نشرت أو قدمت للنشر في مجلة أخرى أو أية جهة ناشرة اخرة. وأن يتعهد الباحث بذلك خطيا عند تقديم البحث، وتقديم إقراراً بأنه سيلتزم بكافة الشروط والضوابط المقررة

في المجلة، كما أنه لا يجوز يكون البحث فصلا أو جزءاً من رسالة (ماجستير – دكتوراه) منشورة، أو كتاب منشور.

ـ لغة المجلة هي العربية ويمكن أن تقبل بحوثا بالإنجليزية أو بأية لغة أخرى، بعد موافقة هيئة التحرير.ـ

– تحتفظ هيئة التحرير بحقها في عدم نشر أي بحث وتُعدُّ قراراتها نهائية، وتبلغ الباحث باعتذارها فقط اذا لم يتقرر نشر البحث، ويصبح البحث بعد قبوله حقا محفوظا للمجلة ولا يجوز النقل منه إلا بإشارة إلى المجلة.

–لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه في أية مجلة علمية أخرى بعد نشره في مجلة الكلية ، كما لا يحق له طلب استرجاعه سواء قُبلَ للنشر أم لم يقبل.

–تخضع جميع الدراسات والبحوث والمقالات الواردة إلى المجلة للفحص العلمي، بعرضها على مُحكِّمين مختصين (محكم واحد لكل بحث) تختارهم هيئة التحرير على نحو سري لتقدير مدى صلاحية البحث للنشر، ويمكن ان يرسل الى محكم اخر وذلك حسب تقدير هيئة التحرير.

– يبدي المقيم رأيه في مدى صلاحية البحث للنشر في تقرير مستقل مدعماً بالمبررات على أن لا تتأخر نتائج التقييم عن شهر من تاريخ إرسال البحث إليه، ويرسل قرار المحكمين النهائي للباحث ويكون القرار إما:

*** قبول البحث دون تعديلات.**

***قبول البحث بعد تعديلات وإعادة عرضه على المحكم.**

***رفض البحث.**

–تقوم هيئة تحرير المجلة بإخطار الباحثين بآراء المحكمين ومقترحاتهم إذ كان

المقال أو البحث في حال يسمح بالتعديل والتصحيح، وفي حالة وجود تعديلات طلبها المقيم وبعد موافقة الهيئة على قبول البحث للنشر قبولاً مشروطاً بإجراء التعديلات يطلب من الباحث الأخذ بالتعديلات في فترة لا تتجاوز أسبوعين من تاريخ استلامه للبحث، ويقدم تقريراً يبين فيه رده على المحكم، وكيفية الأخذ بالملاحظات والتعديلات المطلوبة.

-ترسل البحوث المقبولة للنشر إلى المدقق اللغوي ومن حق المدقق اللغوي أن يرفض البحث الذي تتجاوز أخطاؤه اللغوية الحد المقبول.

- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة من المحكم، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.

-الباحث مسئول بالكامل عن صحة النقل من المراجع المستخدمة كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسئولة عن أية سرقة علمية تتم في هذه البحوث.

- ترفق مع البحث السيرة علمية (cv) مختصرة قدر الإمكان تتضمن الاسم الثلاثي للباحث ودرجته العلمية ونخصصه الدقيق، وجامعته وكليته وقسمه، وأهم مؤلفاته، والبريد الالكتروني والهاتف ليسهل الاتصال به.

- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

-تقدم البحوث الى مكتب المجلة الكائن بمقر الكلية، او ترسل إلى بريد المجلة الإلكتروني.

-اذا تم ارسال البحث عن طريق البريد الالكتروني او صندوق البريد يتم ابلاغ الباحث بوصول بحثه واستلامه.

- يترتب على الباحث، في حالة سحبه لبحثه او إبداء رغبته في عدم متابعة

إجراءات التحكيم والنشر، دفع الرسوم التي خصصت للمقيمين.

شروط تفصيلية للنشر في المجلة

-عنوان البحث: يكتب العنوان باللغتين العربية والإنجليزية. ويجب أن يكون العنوان مختصرا قدر الإمكان ويعبر عن هدف البحث بوضوح ويتبع المنهجية العلمية من حيث الإحاطة والاستقصاء وأسلوب البحث العلمي.

- يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ودرجته العلمية والجامعة او المؤسسة الأكاديمية التي يعمل بها.

-أن يكون البحث مصوغاً بإحدى الطريقتين الآتيتين:_

1:البحوث الميدانية: يورد الباحث مقدمة يبين فيها طبيعة البحث ومبرراته ومدى الحاجة إليه، ثم يحدد مشكلة البحث، ويجب أن يتضمن البحث الكلمات المفتاحية (مصطلحات البحث)، ثم يعرض طريقة البحث وأدواته، وكيفية تحليل بياناته، ثم يعرض نتائج البحث ومناقشتها والتوصيات المنبثقة عنها، وأخيراً قائمة المراجع.

2:البحوث النظرية التحليلية: يورد الباحث مقدمة يمهد فيها لمشكلة البحث مبيناً فيها أهميته وقيمته في الإضافة إلى العلوم والمعارف وإغنائها بالجديد، ثم يقسم العرض بعد ذلك إلى أقسام على درجة من الاستقلال فيما بينها، بحيث يعرض في كل منها فكرة مستقلة ضمن إطار الموضوع الكلي ترتبط بما سبقها وتمهد لما يليها، ثم يختم الموضوع بخلاصة شاملة له، وأخيراً يثبت قائمة المراجع.

-يقدم الباحث ثلاث نسخ ورقية من البحث، وعلى وجه واحد من الورقة(A4) واحدة منها يكتب عليها اسم الباحث ودرجته العلمية، والنسخ الأخرى تقدم ويكتب عليها عنوان البحث فقط، ونسخة الكترونية على(Cd) باستخدام البرنامج الحاسوبي(MS Word).

– يجب ألا تقل صفحات البحث عن 20 صفحة ولا تزيد عن30 صفحة بما في ذلك صفحات الرسوم والأشكال والجداول وقائمة المراجع .
–يرفق مع البحث ملخصان (باللغة العربية والانجليزية) في حدود (150) كلمة لكل منهما، وعلى ورقتين منفصلتين بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث ولا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل ملخص.

–يُترك هامش مقداره 3 سم من جهة التجليد بينما تكون الهوامش الأخرى 2.5 سم، المسافة بين الأسطر مسافة ونصف، يكون نوع الخط المستخدم في المتن Times New Roman 12 للغة الانجليزية و مسافة و نصف بخط Simplified Arabic 14 للأبحاث باللغة العربية.

–في حالة وجود جداول وأشكال وصور في البحث يكتب رقم وعنوان الجدول أو الشكل والصورة في الأعلى بحيث يكون موجزاً للمحتوى وتكتب الحواشي في الأسفل بشكل مختصر كما يشترط لتنظيم الجداول اتباع نظام الجداول المعترف به في جهاز الحاسوب ويكون الخط بحجم 12.

–يجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول والأشكال والصور واللوحات وقائمة المراجع .

طريقة التوثيق:

–يُشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: (1)، (2)، (3)، ويكون ثبوتها في أسفل صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (6) فإن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (1).

-ويكون توثيق المصادر والمراجع على النحو الآتي:

اولا :الكتب المطبوعة: اسم المؤلف ثم لقبه، واسم الكتاب مكتوبا بالبنط الغامق، واسم المحقق أو المترجم، والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد – إن تعددت المجلدات– والصفحة. مثال: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965م،ج3،ص40. ويشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الآتي: الجاحظ، الحيوان، ج، ص.

ثانيا: الكتب المخطوطة: اسم المؤلف ولقبه، واسم الكتاب مكتوبا بالبنط الغامق، واسم المخطوط مكتوبا بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال: شافع بن علي الكناني، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة البودليان باكسفورد، مجموعة مارش رقم (424)، ورقة 50.

ثالثا: الدوريات: اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية مكتوباً بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي– مدخل"، مجلة جامعة القاهرة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 1415هـ/ 1995م، ص179.

رابعا: الآيات القرآنية والاحاديث النبوية:– تكتب الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين بالخط العثماني﴿ ﴾ مع الإشارة إلى السورة ورقم الآية. وتثبت الأحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين « » بعد تخريجها من مظانها.

ملاحظة: لا توافق هيئة التحرير على تكرار نفس الاسم (اسم الباحث) في عددين متتالين وذلك لفتح المجال امام جميع اعضاء هيئة التدريس للنشر.

فهرس المحتويات

عنوان البحث الصفحة

1- مشكلة الحدود السياسية في القارة الفريقية
د عاشور مسعود النجار.....12
2- الحياة السياسية لقبائل لواته في منطقة مسلاته وظهيرها خلال العصر الوندالي (455 م – 533 م)
د. عياد اعبيليكة 33
3- الحوار الوطني في تراث الثقافة السياسية الليبية تحت الاستعمار 1911- 1922م
دراسة في التقاطع والمسار التاريخي للتجربة الليبية في آليات الحوار وبناء السلم وفض النزاعات
د. عزالدين عبدالسلام العالم 44
4- سورة التوبة معان وأحكام فقهية
د. امحمد عبد الحميد المدني.....67
5- نظرية الفيض بين الفلاسفة والمتكلمين (الفارابي والكرماني أنموذجاً)
د: آمنة عبدالسلام الزائدي.....99
6- قطع أشجار الغابات وآثاره على عملية التصحر (في المنطقة الممتدة من تاجوراء إلى غرب مدينة الخمس)
د. الهادي عبد السلام عليوان 122
7-موقف الشريعة الإسلامية من استخدام مشتقات الخنزير في المواد الاستهلاكية
د. عبد العزيز عبد المولى علي.....136
8- اللمسات الفنيّة للمحذوف (سورة البقرة أنموذجاً)
د. علي عبد السلام بالنور 158

9- أوضاع مدينة لبدة الكبرى خلال حكم الأسرة السيفيرية (192 – 235م)

د.عبد السلام عبد الحميد أبو القاسم..... 189

10- العلاقات الثقافية بين مدينة فاس وبعض أقاليم العالم الإسلامي
448-541هـ/1056-1146م

د. فتحية محمد الوداني.....208

11- العلاقات المكانية الصناعية لمنطقة مصراته

د.ابتسام عبدالسلام كشيب.....248

12- واقع وآفاق الخدمات التعليمية للتعليم المتوسط لمنطقة الخمس عام 2015م

د.بشير عمران أبوناجي و د.أنورعمر أبوشينة.....276

13- نموذج نظري لتصور العلاقة بين الاكتئاب وتصور الانتحار

د. عثمان علي أميمن و أ. زينب محمد حمودة.....301

14- التنبؤ بأثر الرضا الوظيفي، وفعالية الذات في خفض الضغوط النفسية دراسة أمبريقية على عينة من أطباء مستشفى زليتن التعليمي

د. مفتاح محمد أبوجناح..... 333

15- علاقات أباضيي ورقلة التجارة مع شمال الصحراء وجنوبها

د.لمياء محمد شرف الدين.....370

16-Exploring English teachers' beliefs about CLT and difficulties in implementing it in Libyan schools

Rabiah Mohammed Almalul.....410

17-Caravan trade between Kuwait and "markets of Arabian Peninsula, Levant and Southern Iraq" in the pre-oil era
(A study in modes and relations of production)

D. Mustafa Ahmed Sakr.....421

علاقات أباضيي ورقلة التجارية مع شمال الصحراء وجنوبها

لمياء محمد سالم شرف الدين[1]

مقدّمة

حظي موضوع خوارج بلاد المغرب الأباضيين باهتمام ثلّة من البحّاث، إلاّ أنّ دراساتهم قد اتخذت وجهة سياسيّة أو مذهبيّة، ولم يحظ الخوارج الأباضية بدراسة لأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعيّة بمعزل عن هاتين الوجهتين.

ويُعتبر البحّاث المستشرقين أول من طرق مجال البحث الاقتصادي والاجتماعي للخوارج الأباضيين، ومن أبرزهم ليفتسكي Lewicki، الذي انصب اهتمامه على دراسة المصادر الأباضية ومنها انطلق للبحث في نشاط الأباضيين التجاري، شمال/جنوب الصحراء. وكان مسار بحثه نشاط الأباضيين التجاري في الواحات بعد سقوط "الدولة" الرستميّة، معتمدا أساسا على الرجوع إلى فترة زمنية سابقة وإيجاد جذور للعلاقات الأباضية بالمراكز التجارية في كل من شمال الصحراء وجنوبها.

إنّ المنهج الذي اتبعه ليفتسكي لإبراز العلاقات بين أباضيي الواحات مع شمال وجنوب الصحراء، حفّزني لإستقراء ما توفر لدي من مصادر في محاولة للبحث في الأسباب الموضوعيّة التي دفعت بأباضيي الواحات لمزاولة التجارة وأبعادها، مع اتخاذ أباضيي ورقلة أنموذجا.

إنّ صمت المصادر عن علاقات الأباضيين التجارية مع شمال وجنوب الصحراء في القرن الرابع للهجرة، حدا بي للإنطلاق إلى دراستها في القرن الخامس خاصة بعد الهجرة الهلالية، لما توفّر من معلومات. وقد كانت هذه الأخيرة لصيقة بتطور ورقلة السياسي والاقتصادي من ناحية، وظهور ثقل بشري بها من ناحية أخرى. وقد كان لزاما التعرض في البدء إلى أوضاع التّجمعات الأباضية في بلاد المغرب حتى قيام "الدولة" الفاطمية

[1] – عضو هيئة تدريس جامعة الطرابلس.

(297هـ/909م)، إنطلاقا من ظهور المذهب الأباضي في بلاد المغرب ومساره حتى قيام الإمامة الرستمية وبناء العاصمة. مع تتبع ما حفّ بها من مشاكل أدت إلى سقوطها، ثم انسحاب الأباضيين إلى الجنوب، أي إلى مناطق الواحات كمعاقل أخيرة لهم، ومحاولة تفسير هذا الانسحاب. ومن ثمّة الولوج إلى موضوع الدراسة "علاقات أباضيي ورقلة مع شمال وجنوب الصحراء"، الذي صدّرته بتاريخ تأسيس المدينة وتعدد تسمياتها. ثمّ تعرّضت إلى موقعها وإلى مكوناتها الاقتصادية، وذلك لإبراز النشاط الاقتصادي التجاري من بينها مقتصرة على العلاقات التجارية لورقلة مع شمال وجنوب الصحراء، وما رافق هذا النشاط التجاري من نشاطات حضارية، منها نشر الإسلام واللغة العربية في المناطق السودانية.

أوضاع التجمعات الأباضية حتى قيام "الدولة" الفاطمية (297هـ/909م)

يُعد البحث في أوضاع التجمعات الأباضية جزء على قدر من الأهمية في هذه الدراسة، ذلك أنه يحيلنا إلى معرفة التطورات في منطقة المغرب المتعلقة بالتجمعات الأباضية التي كان لدخول الفاطميين للمنطقة وقع عليها؛ إذ فرّ أغلب عناصرها إلى المناطق الجنوبية. وللوصول إلى إبراز ذلك وجب التعرّض في البدء إلى ظهور المذهب الأباضي ومساره حتى قيام الإمامة الرستميّة وبناء العاصمة – التي اختلف المؤرخون الأوائل في تحديد تاريخ تأسيسها[1]–، مع تتبع ما حفّ بها من مشاكل أدت مجتمعة إلى سقوطها سنة (297هـ/909م).

[1] يذكر كل من ابن عذاري وابن خلدون سنة 144هـ/761م تاريخا للتأسيس على اثر فرار عبد الرحمن بن رستم من القيروان، في حين يذكر ابن الصّغير سنة 160–162هـ/776–778م تاريخا لذلك، وهو تاريخ تولّي عبد الرحمن بن رستم الإمامة. ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، تحقيق ومراجعة ج.س.كولان وإ. ليفي بروفنسال، الدار العربيّة للكتاب، بيروت، 1983، ج1، ص72؛ ابن خلدون عبد الرحمن، *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر*، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، 1983، مج11، ص225؛ ابن الصغير،

لئن كان للصفّرية[1] السّبق في الظهور على مسرح الأحداث في منطقة المغرب سنة (122هـ/739م)[2] ومناوئة السلطة المركزية/الأموية الممثلة في عمر بن عبد الله المرادي عامل مدينة طنجة وماوالاها، فإنّ للأباضيّة دورا لا يقل شأنا وإن كان متأخرا، سنة (140هـ/757م)[3].

أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر وابراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص28.

[1] الصفرية: فرقة خارجية من أتباع زياد بن الأصفر، وفي قول أنّ رئيسها هو عبد الله بن صفار السعدي الذي كان من أتباع نافع بن الأزرق لكنه انفصل عنه اثر خروجه عن عبد الله بن الزبير سنة 64هـ/757م. وكان السبب في انفصاله عنه، شدّته في تعقّب مخالفيه واستحلال دمائهم وقتل اطفالهم ونسائهم. ودخلت الصفرية بلاد المغرب واستقرت بسجلماسة حيث كونوا دولة بني مدرار بها، التي شهدت ازدهارا وتقدما اقتصاديا ومعماريا. العربي، إسماعيل، معجم *الفرق والمذاهب الاسلامية*، دار الاقاق الجديدة، المغرب، 1993، ص250.

[2] قامت هذه الانتفاضة بقيادة ميسرة المطغري متزعما للخوارج الصفرية ضد الخلافة الأموية في بلاد المغرب. الرقيق، أبو اسحاق ابراهيم، *تاريخ إفريقيّة والمغرب*، تحقيق عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص73.

[3] تعدُّ سنة 140هـ/757م بداية تاريخ حركات الخوارج الأباضية في بلاد المغرب وذلك اثر عودة حملة العلم من المشرق، وهم: عاصم السدراتي وأبو داود القبلي وإسماعيل بن درار الغدامسي وعبد الرحمن بن رستم وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، الذي تعتبره المصادر الأباضية "أوّل الأئمة، وتؤرخ لثورته باعتبارها بداية لمرحلة الظهور". عبد الرازق محمود إسماعيل، *الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري*، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ص82. لمزيد من المعلومات عن هؤلاء حملة العلم الخمسة، أنظر: الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد، *طبقات مشايخ المغرب*، تحقيق وطبع ابراهيم طلاي، مطبعة البعث قسطنطينة، الجزائر، د.ت، ج1، صص22-23، 29، 40-46؛ الشماخي، أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد، *كتاب السير*، ، دراسة وتحقيق محمد حسن، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2009، ج2، صص245-259، 262-263، 267، 268، 271؛ Lewicki, T, " The ibadites in Arabia and Africa, The ibadites in North Africa and Sudan to the fourteenth century", in *Journal of World History*, 1971, Vol XIII, p.88.

إنّ ما يُستشف من هذه الأسماء أنّ أول من اعتنق المذهب الأباضي كانوا من المغاربة البتر المستقرين بالقيروان وطرابلس وجبل نفوسة وغدامس ونفزاوة وسدراتة. وكانت هذه المناطق مجمعا لقبائل هوارة وزناتة وزواغة ولواتة ومطماطة. ابن خلدون، المصدر السابق، مج11، صص229-235.

تجمع المصادر الأباضية على أن أول من دخل بلاد المغرب ناشرا المذهب الأباضي هو سلمة بن سعد قادما من البصرة ومعه عكرمة مولى بن عباس داعيّا للمذهب الصفري في أوائل القرن الثاني للهجرة سنة(105 هـ/723م تقريبا) [1]. وقد استطاع سلمة بن سعد أن يكسب أنصارا في المغرب الأدنى وجبل نفوسة[2]. فأهل إفريقيّة كغيرهم من سكان بلاد المغرب، كانوا يعانون الاضطهاد والتفرقة والمعاملة السيئة من قبل ولاة الخلافة الأموية، ووجدوا ضالتهم في الخوارج الاباضية المناوئين للأمويين والذين كانوا أقرب فرق الخوارج إلى السُّنة، فرفعوا شعار الثورة ضدها.

وتعاقبت ثورات الأباضية ببلاد المغرب بدءا من سنة (126هـ/744م)، "فتحرّكت قبائل زناتة وهوارة ونفوسة وضريسة وغيرها رافعة شعار المذهب الأباضي"[3]. ففي هذا التاريخ، قامت قبيلة هوارة بقيادة عبد الله بن مسعود التجيبي بثورة ضد حكم عبد الرحمن بن حبيب الفهري في طرابلس[4]. وفي سنة (131هـ/748م) قامت ثورة أخرى بقيادة عبد

[1] أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، *كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا*، تحقيق إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص41؛ الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص212، ج2، ص245. ويختلف الدّرجيني عن أبي زكريا والشماخي في اسم حامل المذهب، فيذكر أنه سلامة بن سعيد. الدّرجيني، المصدر السابق، ج1، ص11.

[2] الدّرجيني، المصدر السابق، ج1، ص11.

[3] الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص43.

[4] ابن عبد الحكم، *فتوح مصر والمغرب*، تحقيق وتقديم علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1995، ص252.

Lewicki, *Op. Cit.*, p. 87.

الجبار بن قيس المرادي والحارث بن تليد الحضرمي[1]، وأعقبتها ثورة ثالثة سنة (132هـ/749م) بقيادة إسماعيل بن زياد النفوسي[2].

لم تكن هذه الثورات لتعبّر عن تنظيم أباضي يهدف لإقامة كيان مستقل حتى سنة (140هـ/757م)، عندما أعلن أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري إمامة الظهور[3] إثر رجوعه من المشرق مع حملة العلم الخمسة.

استطاع أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، المتغلّب على طرابلس[4] وقابس[5]، مقارعة الخوارج الصفرية (ورفجومة) في القيروان والإستلاء عليها سنة (141هـ/758م) وتولية عبد الرحمن بن رستم عاملا له عليها[6]، ولكنّه لم يستطع الصمود الصمود أمام قوات المسودة بقيادة محمد بن الأشعث عامل الخليفة العباسي المنصور سنة (144هـ/761م) – لإنقسام جنده وتفرقهم إلى زروعهم، وقد كان الوقت وقت زرع – وقُتل في تاورغا[7]. وتفرّق بمقتله أصحابه في جنوب طرابلس وقابس[8] وغيرها من مناطق

---

[1] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص252؛ الرقيق، المصدر السابق، ص 91؛ الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص247؛ ابن الأثير، عز الدين، *الكامل في التاريخ*، مراجعة وتعليق نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980، ج4، ص279.

[2] ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، *فتوح إفريقيّة والأندلس*، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964، ص104؛ ابن خلدون،المصدر السابق، مج11، ص223.

[3] عندما يرى الأباضيون في أنفسهم قوّة وقدرة على مواجهة الأحداث يعلنون إمامة الظهور، إلا أنهم عقب المحن كانوا يعدّون أنفسهم بتكتّم وفق إمامة الدفاع. عبد الرزاق، *الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري*، ص101.

[4] الرقيق، المصدر السابق، ص104؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص71. الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص248.

[5] الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص250.

[6] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص71؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص281.

[7] أبو زكريا، المصدر السابق، ص69؛ الشماخي، المصدر السابق، ج2، صص254–256.

[8] الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص256.

الجنوب. كما فرّ عامله على القيروان إلى المغرب الأوسط[1]، واضطر الأباضيون إلى التخفّي وفق ما يسمّى "إمامة الدِّفاع"[2] بإمرة أبي حاتم الملزوزي الذي تمكّن من استرداد طرابلس والقيروان لفترة من الزمن، إلاّ أنّه اندحر أمام القوى العباسية بقيادة يزيد بن حاتم سنة (155هـ/772م) وقتل في جماعة من جنده[3].

ككل مرّة بعد الهزيمة ينسحب الأباضيون إلى الجنوب، فكان أن اندفع من بقي من قوات أبي حاتم إلى الجنوب والجنوب الغربي وتاهرت، حيث انظمّ عدد منهم إلى عبد الرحمن بن رستم واجتمع رأيهم على تقديمه وبناء مدينة تجمعهم. وما إن وصلت أخبار ذلك إلى أباضيي المشرق (البصرة) حتى بادروا بإرسال المساعدات المالية إليه. فأنفقها في أوجه عدّة منها الدفاعي والإنمائي مما كان له دور في عمران تاهرت وإزدهارها.[4]

أصبحت تاهرت بتولي عبد الرحمن بن رستم الإمامة وباستقطابها للعديد من القبائل المغربيّة الإباضيّة الفارّة من القوات العباسيّة مركزا سياسيا ودينيا لكل أباضيي بلاد المغرب. كما أضحت مركزا اقتصاديا هاما وسوقا مهما، لم يجذب الجماعات الأباضية في منطقة المغرب وحسب بل كان قبلة لتجار المشرق والمغرب على حد السواء. فيذكر الشماخي أنه "انتقل إليها أهل الأموال والتجار من مصر وإفريقيّة والمغرب لخوفهم على

---

[1] يذكر الرقيق أنه قد فرّ إلى تاهرت حيث اختطّ بها ونزلها، وينحى ابن عذاري منحاه. أما الشماخي فيذكر أنه فرّ إلى سوفجج. الرقيق، المصدر السابق، ص105؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، 72؛ الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص257.

[2] يذكر محمود اسماعيل عبد الرازق أنّ "معركة تاورغا سنة 144هـ (761م) نهاية لإمامة الظهور التي استمرت أربعة أعوام سيطر الأباضية إبانها على إفريقيّة والمغرب الأدنى، فلم يقو الأباضية بعدها على الظهور واضطروا إلى العمل في تستر وكتمان وهو ما يعرف في إصطلاحهم بإمامة الدفاع." عبد الرازق، *الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري*، ص89.

[3] الرقيق، المصدر السابق، ص109؛ أبو زكريا، المصدر السابق، صص73–80؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص79؛ الشماخي، المصدر السابق، ج2، صص258–262؛ ابن خلدون، المصدر السابق، مج11، ص227.

[4] ابن الصغير، المصدر السابق ، صص29، 32، 34، 35؛ أبو زكريا، المصدر السابق، ص83؛ الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص266.

أموالهم من أئمة الجور، ومن هناك دخلتها الفرق ونفقت فيها السِّلع مع كونها كثيرة الخصب فعظمت بها الأموال."[1]

ولقد خوّل لها كل ذلك أن ترتبط تجاريا ببلاد السودان وغيرها من البلاد المشرقيّة والمغربيّة. فيذكر ابن الصغير "أنّ السبل قد استعملت إلى بلاد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة، فأقاموا على ذلك سنتين أو أقل أو أكثر والعمارة زائدة والتجار من كل الأقطار تاجرون."[2]

انعكس هذا الازدهار الاقتصادي على مناحي الحياة الأخرى في الإمامة الرستميّة، فبُنيت القصور وغُرست البساتين ونُصبت الأرحاء ورُكبت الخيول وكثُرت العبيد والخدّام[3]. كما أثّر ذلك على اتساع رقعة الإمامة الرستميّة، فكان أن امتدت من طرابلس شرقا إلى تلمسان غربا[4].

على الرغم من هذا الازدهار، فقد عانت الإمامة الرستميّة من مشاكل داخليّة وخارجيّة تعود في تاريخها إلى عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، ثاني أئمة الإمارة الرستميّة (171-208 هـ/787-823م)[5]. فعلى المستوى الداخلي تعرّض المذهب الأباضي لإنقسامات عدّة، وكتاب ابن زكريا "سير الأئمة وأخبارهم" حافل بالشواهد على ذلك، إذ يسهب في الحديث عن أسباب إفتراق الأباضية[6]، فكان الأوّل بقيام أبي قدامة

---

[1] الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص286. ويمكن أن نفسّر تواجد هذه الجماعات التجارية بتاهرت أيضا بكون هذه الأخيرة "تستقبل الذهب والعبيد، وفيها توزّع هاتين السلعتين في اتجاه البحر الأبيض المتوسط". لومبار موريس، *الإسلام في مجده الأول (ق2- 5 هـ/ 8-11م)*، ترجمة إسماعيل العربي، دار الأفاق الجديدة، المغرب، 1990، ص88.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص36.

[3] المصدر نفسه، ص38.

[4] المصدر نفسه، ص45.

[5] فقيه ومحدّث له مؤلف أجوبة في الفقه والأحكام وأصول الدين. شهد عصره افتراق الأباضية وعدّة ثورات. أبو زكريا، المصدر السابق، صص86-126؛. الشماخي، المصدر السابق، ج2، صص272-291.

[6] أبو زكريا، المصدر السابق، ص197؛. لمزيد من المعلومات عن الفرق الأباضية أنظر: الدّرجيني، المصدر السابق، ج1، صص47-؛55؛ الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص441. ولمزيد من التفاصيل حول الفرق

يزيد بن فندين اليفرني وأصحابه على عبد الوهاب ابن عبد الرحمن ابن رستم سنة (171هـ/787م) عندما أراد هذا الأخير أن يولي أمور المسلمين أهل العلم والبصيرة دونه ودون أصحابه[1]. ولعلّه من الجدير بالذِّكر أن معارضة ابن فندين لتولي عبد الوهاب بن عبد الرحمن الإمامة ظهرت عندما اراد الناس مبايعته إثر وفاة أبيه[2]. أمّا الافتراق الثاني فكان بإمرة خلف بن السّمح بن أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري[3] إثر وفاة أبيه. وقد أراد أن يخلفه على طرابلس رغم معارضة الإمام عبد الوهاب[4].

لم يقتصر الأمر على هذا الانشقاق المذهبي بل تعداه إلى صراع من أجل السلطة داخل الأسرة الرستميّة نفسها، فيذكر ابن الصغير أنه قام صراع بين يعقوب بن أفلح وبين أخيه أبو حاتم يوسف[5] سنة (281-283هـ/894-896م) حتى "أنّ السُّبل قد قُطعت

المنشقة عن الأباضية، انظر: ليفتسكي، تادايوش، *دراسات شمال إفريقية -جمع وترجمة لبحوث ذات أبعاد تاريخية إجتماعية ولغوية*، ترجمة أحمد بومزقو، إعداد للنشر وتقديم موحمد ؤمادي، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية- سلسلة دراسات (1)، 2005، صص71-75؛ ليفتسكي، *دراسات شمال إفريقية*، سلسلة دراسات (2)، 2006، صص57-61؛

Lewicki, " La répartition géographique des groupements ibadites dans l'Afrique du Nord au Moyen âge", dans *Rocznik Orientalist Yezny*, TXXXI, Première partie, pp.311-314.

[1] أبو زكريا، المصدر السابق، صص89، 85. ويسميهم ابن الصغير باليزيديّة نسبة إلى يزيد بن فندين، المصدر السابق، ص44.

[2] أبو زكريا، المصدر السابق، صص86-87. أنظر بالخصوص أيضا : الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص273.

[3] وقد كان وزيرا للإمام عبد الوهاب حتى طلبه أهل طرابلس أن يكون عاملا عليهم. أبو زكريا، المصدر السابق، ص67؛ الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص292.

[4] أبو زكريا، المصدر السابق، صص119-122. أنظر بالخصوص أيضا : الشماخي، المصدر السابق، ج2، صص311-312.

[5] أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان محمد ، ذكره الشماخي بالامام الماهر والبحر الزاخر والعالم الذاكر. وقد بويع بعد وفاة أبيه أبو اليقظان محمد ابن أفلح (261-281هـ/874-894م) وبقي في سدة الحكم أربع عشرة سنة. : الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص416.

وفَرغ من أيدي الناس الحرث والنسل."[1] كما يذكر ابن عذاري أن أبا حاتم بن أبي اليقظان قد قتله بنو أخيه سنة (294هـ/906م.)[2].

وقد كان قد ظهر الصراع من أجل السلطة على أشدّه بظهور الخارجين عن الإمامة الرستميّة، وكان أوّلهم نفاث بن نصر[3] عندما عيّن أفلح بن عبد الوهاب[4] سعد بن أبي يونس[5] عاملا على قنطرارة[6]. وتعبّر محاولات الأئمة الرستميين للمحافظة على سلطانهم داخل الأسرة عن ذلك، فيذكر ابن الصغير أن أفلح بن عبد الوهاب "قد أرّش بين لواته وزناتة ومابين لواتة ومطماطة"[7] خوفا من أن تجتمع ضدّه. وقام أبو بكر بن أفلح[1] بقتل

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص113.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص197.

[3] من أهل جبل نفوسة فقيه أخذ العلم على الإمام أفلح بن عبد الوهاب في تاهرت وكان محبّا للرئاسة متطلعا للإمارة ، وعندما ولّى الإمام زميل نفاث في الدراسة سعيد بن أبي يونس عاملا على قنطرارة ، خرج نفاث عن الامام أفلح، ثم خرج الى المشرق حيث التقى بالخليفة العباسي الذي مكته من نسخ ديوان جابر، ثم عاد إلى بلده. أبو زكريا، المصدر السابق، صص139-146.

[4] هو أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، فقيه ومحدّث، له كتاب أجوبة في الفقه والأحكام وأصول الدين كوالده عبد الوهاب. ولقد حكم تاهرت بعد أبيه وبقي في" إمامته ستين سنة واليا، إماما حسن السيرة، رؤوفا بالرعية، لا يخاف في الله لومة لائم..." أبو زكريا، المصدر السابق، ص146. الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص326.

[5] يذكره أبو زكريا "سعيد"، وهو من جبل نفوسة وقد كان والده عاملها في عهدي الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن وأفلح ابن عبد الوهاب ابن عبد الرحمن. درس في تاهرت على الامام أفلح وكان معه نفاث بن نصر وعند عودته إلى جبل نفوسة أقرّه الامام أفلح على قنطرارة خلفا لوالده. وقد شارك اضطرارا في موقعة مانو بين إبراهيم بن الأغلب وبين أهل جبل نفوسة اثر وصفه بالجبن. أبو زكريا، المصدر السابق، صص139، 156؛ البغطوري، مقرين بن محمد، *سيرة مشايخ نفوسة*، تحقيق توفيق عياد الشقروني، منشورات مؤسسة تاواليت الثقافية- سلسلة الأبحاث التاريخية (2)، 2014، ص70؛ الشماخي، المصدر السابق، ج2، صص351-353؛ ليفتسكي، *تسمية شيوخ جبل نفوسة* (*دراسة لُسُنَيّة في الأنوميا والطوبونوميا الأمازيغية*)، ترجمة عبد الله ژارو، إعداد للنشر وتقديم موحمد ؤمادي، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية- سلسلة الأبحاث التاريخية (1)، 2013، صص80-81.

[6] هي بلد في بلاد الجريد في الجنوب التونسي الذي يطلق عليه الاباضيون القصور. ليفتسكي، *دراسات شمال إفريقية*...، سلسلة دراسات (1)، ص48 و سلسلة دراسات (2)، ص59.

Lewicki, "La répartition géographique des groupements ibadites..., *Op.cit.*, p.310.

[7] ابن الصغير، المصدر السابق، ص63.

محمد بن عرفة[2] لِما أصبح عليه من علو شأن في الإمامة الرستميّة ومنافسته عليها. وقد انجرّ عن ذلك حروب بين أنصار كلّ منهما آنذاك[3].

أُردفت هذه المشاكل الداخليّة بأخرى خارجيّة تتعلّق بفتور علاقة الإمامة الرستميّة بالتنظيم الأُم في المشرق وانقطاع مساندته لها، وبخروج مناطق أباضيّة عن سلطتها. فكان للصراع على السلطة والمعبِّر عن تحوّل الإمامة الرستميّة إلى ما يشبه الملكيّة الوراثيّة[4] – بتقديم الرستميين لأفراد الأسرة لتولّي الأمر دون النظر إلى المبدأ الذي من أجله ناضل الخوارج[5] – أثره في فتور العلاقة بين أباضيي المشرق وبين أباضيي المغرب. وفقد هؤلاء الدّعم من تنظيم كان قد ساندهم قبلا.

لقد ساند التنظيم الأباضي الأُم في المشرق الإمامة الرستميّة إبّان قيامها سنة (160-162هـ/776-778م) معنويا وماديّا. فأمّا من الناحية المعنويّة قام أباضييو المشرق بمراسلة أباضيي المغرب مشجعيهم على إقامة "دولة" أباضيّة، واستقطاب العديد من المغاربة لتلقيهم أصول وتعاليم المذهب. فالمشرق (البصرة) يمثّل "البؤرة الفكريّة التي كان

---

[1] هو رابع الأئمة الرستميين، تولى الإمامة بعد وفاة أبيه وقد كان أخوه أبو اليقضان في بلاد المشرق. بقي في سدة الحكم أربع سنوات، حتى تاريخ عودة أخيه(258-261هـ/871-874م). ولم يستطع مواجهة أخيه ومناصريه عند عودته من المشرق ففر من تاهرت. ولا تذكر المصادر مصيره. أبو زكريا، المصدر السابق، ص146.

[2] يذكر الباروني أنه صهر الإمام أبي بكر بن أفلح وكان معدودا في قومه حسن السيرة، وقد سلّمه مقاليد الدولة. ولسوء ادارة الامام ابي بكر وانشغاله بالسهر والترفيه مال الناس لمحمد بن عرفة مما اغاظ الامام فأمر بقتله. الباروني، أبو الربيع سليمان، *مختصر تاريخ الأباضية*، منشورات مؤسسة تاواليت الثقافية، سلسلة الأبحاث التاريخية، د.ت، ص47.

[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص71؛ الدّرجيني، المصدر السابق، ج1، ص83.

[4] عبد الرازق، محمود إسماعيل، *الحركات السرية في الإسلام – رؤية عصرية* – ، دار القلم، بيروت، 1973، ص20.

[5] اعتبر الخوارج الخلافة حقّا للجميع، فهي ليست حكرا على قريش أو أيّة أسرة بعينها، بل " جوّزوا أن تكون الإمامة في غير قريش وكل من نصّبوه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان إماما. فيجوز أن يكون الإمام عبدا أو حرا أو نبطيا أو قرشيّا". الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، *الملل والنحل*، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، 1975، ج1، 116.

زعماء الأباضيّة يعتمدون عليها."[1] وأمّا من الناحية الماديّة، فقد أرسل التنظيم حال في البصرة ثلاثة أحمال من الأموال إلى عبد الرحمن بن رستم مؤسس الإمامة/الإمارة الرستميّة بتاهرت.[2]

وكان لهذه الاموال أثرها في انتعاش أحوال تاهرت الاقتصادية، فسيطرت على بعض المسالك التجارية المتّجهة جنوبا. وكان أن احتاجت إلى أسواق خارجة عن سلطة القوى المركزيّة بالمنطقة – تصرّف فيها بضائعها– ووجدت ضالتها في الأسواق التي يخولها لها أباضيو المشرق، الذين كانوا يدركون ما يمكن أن يحققه لهم التعامل التجاري مع بلاد المغرب من أرباح؛ ذلك "أنّ مركز البصرة عند ملتقى طرق قاريّة وبحريّة من شأنه أن يفيدها من تيارات التبادل (التجاري) خصوصا مع مواطنيهم الذين نزلوا البلدان البعيدة من اليمن حتى فرغانة* والسّوس الأقصى**."[3]

وبالرغم من توقف المساندة الماديّة المباشرة المشرقيّة لأباضيي المغرب منذ عهد عبد الرحمن ابن رستم[4]، فإنّ العلاقات بين أباضيي المشرق وبين أباضيي المغرب استمرت

---

[1] فوزي، فاروق عمر، "ملامح من تاريخ الخوارج الأباضية كما تكشفها مخطوطة الأزكوي" في *مجلة المؤرخ العربي*، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، 1975، العدد 2، ص174.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، صص32–34؛ أبو زكريا، المصدر السابق، ص83؛ الدّرجيني، المصدر السابق، ج1، ص45.

* إسم أرض تضمّ عدة بلدان ، وهي تقع شرق سمرقند. الإدريسي، محمد بن عبد الله ، *نزهة المشتاق في إختراق الآفاق*، عالم الكتب، بيروت، مج1، صص507،503

** آخر بلاد المغرب المصاقب للصحراء. البكري، أبو عبيد، كتاب المسالك والممالك، تحقيق وتقديم وفهرسة أدريان فان ليوفان وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992، ج2، صص851، 854، 866.

[3] بللا، شارل، *الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء*، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، 1985، صص318–319.

[4] يذكر كل من ابن الصغير وأبو زكريا أن عبد الرحمن بن رستم قد رد مالا أتاه من المشرق (عشرة أحمال) لعدم حاجته إليه بقوله: " فإنّا إنما كنا قبلنا منهم في أول بدء أمرهم للحاجة التي كانت بنا إليه والفاقة التي لزمت عوام إخواننا، فالآن أننا مستغنون عن أموال غيرهم". ابن الصغير، المصدر السابق، ص40؛ أبو زكريا، المصدر السابق، ص84.

في إطاريها المعنوي (الفتاوى) والماديّ التجاري في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم.

لقد كان المشرق مصدر الفتاوى بالنسبة لأباضيي المغرب. فها هو الإمام عبد الوهاب يستفتي أهل المشرق عندما منعته نفوسة من المسير إلى الحج خوفا عليه، فأفتوه بأن من شروط الحج أمان الطريق، فأرسل من يحج عنه. [1] وأرسل أهل تاهرت إلى علماء المشرق يستفتونهم في أمر ابن فندين وخروجه على الإمام عبد الوهاب. [2] وكذلك فعل أهل طرابلس عندما أرادوا تولية خلف بن السمح عاملا على طرابلس وقد منعهم من ذلك الامام عبد الوهاب.[3]

وإن لم تنجح محاولات التنظيم الأُم في الخروج بأباضيي بلاد المغرب من دائرة الصراع الدّاخلي، وبدأ دوره في الضّمور نتيجة الخلاف الفقهي بين الطرفين، فإنّ العلاقات التجارية بينهما لم تنقطع، فكان أن نشط الوكلاء بين المنطقتين، وهاهو الإمام عبد الوهاب يرسل إلى الربيع بن حبيب بإثني عشر ألف درهم أو دينار ليشتري له بها جهازا من البصرة ليتجر به[4]. كما أرسل أيضا "ألف دينار إلى أخوانه من أهل المشرق بالبصرة أن يشتروا له به الكتب."[5]

---

[1] أبو زكريا، المصدر السابق، ص115؛ الدّرجيني، المصدر السابق، ج1، ص66؛ الشماخي، المصدر السابق، ج2، صص287. ومن الجدير بالذكر أن ما ورد في نص الشماخي، في إطار الحديث عن عزم عبد الوهاب على الحج، قد يحيلنا إلى أن الحج هو تجارة في ذات الوقت. إذ ما علمنا أن عبد الوهاب كان حاذقا بالتجارة و قد استقرّ بجبل نفوسة مدّة سبع سنوات بعد أن منعه اهلُها من الارتحال إلى المشرق خوفا عليه من المسودة، وأرسل خلالها إلى الربيع بن حبيب أن يبعث له بضاعة من المشرق وقد كان له ما أراد. ويؤكد هذه الوجهة التجارية للحج قول الشماخي " فلما تمّ حجه وقضى وطره منه بعد مراجعات إلى المشرق ومراسلات إلى الربيع، ارتحل راجعا إلى المغرب إلى تيهرت". الشماخي، المصدر نفسه، ج2، صص289-290.

[2] أبو زكريا، المصدر االسابق، ص89؛ الدّرجيني، المصدر السابق، ج1، ص49؛ الشماخي، المصدر السابق، ج2، صص274-275.

[3] الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص312.

[4] الشماخي، المصدر نفسه، ج2، ص290.

[5] أبو زكريا، المصدر السابق، ص99.

إلاّ أنه بتطوّر الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في العصر العباسي في منطقة المشرق، ظهرت حركات معارضة جديدة وُسِمت بأبعادها الاجتماعية والاقتصادية، وإن لم يُنف عنها وجهتها السياسيّة ولا توظيفها الدينّ للوصول إلى مبتغاها (الزنج والقرامطة...)[1] وبخروج العديد من أباضيي المشرق إلى المناطق البعيدة ومن بينها بلاد المغرب – "حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي..."[2] – خفّ ثقل أباضيي المشرق كهيئة مساندة لأباضيي بلاد المغرب. إضافة إلى ذلك الخلاف الفقهي الذي برز بينهما، فلم تعد البصرة متنفسا لأباضيي بلاد المغرب، وظهر بجلاء فتور العلاقة بينهما، إن لم نقل انقطاعها، وبالتالي فقدان الدّعم[3].

ويضاف إلى هذا السبب الخارجي لضعف الإمامة الرستميّة أي فقدان المساندة المشرقيّة، محالفة أباضيي المناطق المجاورة لها وخروجهم عنها. فكان أن خرج على الإمام عبد الوهاب، ابن مسالة الأباضي[4]. ويضيف الفرد بل عاملا آخر من عوامل الضعف الذي اعترى الإمامة الرستميّة، وهو أن الرستميين نتيجة لركونهم إلى حياة الدّعة والاهتمام بالعلوم الدينيّة لم يفكروا في الحرب وفي النضال وفي العناية بإعداد جيش قادر على الدفاع عن عاصمتهم، ولذا انهارت هذه الأخيرة سنة (297هـ/ 909م) حين هاجمها

---

[1] لمزيد من التفاصيل حول أبعاد هذه الحركات، أنظر: أبو طالب، نجيب، *الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية*، تقديم الطاهر لبيب، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1990، ص 165؛ بزون، حسن، *القرمطية بين الدين والثورة*، دار الحقيقة، بيروت، 1988، ص32؛ الدوري، عبد العزيز، *مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي*، دار الطليعة، بيروت، 1980، ص72.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص36.

[3] يذهب محمود إسماعيل إلى القول بأن انقطاع الصلات بين أباضيي المشرق وبين أباضيي بلاد المغرب لا يمكن أن يكون قطعيّا، وذلك نتيجة لصمت المصادر التاريخية صمتا يكاد يكون نهائيا عن نشاط الخوارج في منطقة المشرق، والذي ربما يعود إلى طبيعة العمل السري آنذاك. عبد الرازق ، *الحركات السرية في الإسلام* ، ص18.

[4] ورد في مؤلف ابن الصغير سبب الخلاف، وما هو إلا ذريعة بسيطة. وهي أن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم قد خطب فتاة كان ابن مسالة قد خطبها لنفسه قبله... ابن الصغير ، المصدر السابق، ص52.

الجيش العُبيدي بإمرة أبي عبد الله الشيعي[1]. ولقد فرّ منها يعقوب ابن أفلح بعياله وأهله إلى الجنوب، إلى ورقلة التي أُعتبرت مع غيرها من المناطق الجنوبيّة الصحراوية المعقل الأخير لأباضية تاهرت ومناطق الشمال، واستقبله فيها أبو صالح جناون بن يمريان[2]وأهل ورقلة[3]، وطلبوا منه أن "يولوه على أنفسهم فامتنع لهم من ذلك..."[4] ومنذ ذلك الوقت، "اقتصر التعبير الأباضي على النواحي المذهبية والحضارية في منطقة الصحراء الشاسعة."[5]

في الواقع لم يكن هذا الاندفاع نحو الجنوب (ورقلة، جبل نفوسة، غدامس...) مجرد صدفة بقدر ما كان اتجاها طبيعيّا لما تمثّله هذه المناطق من أهميّة في حركة التجارة بين الشمال والجنوب، وذلك لاستقبالها لبضائع الجنوب وإعادة تسويقها إلى الشمال والعكس. ويذكر الإدريسي في هذا الخصوص، أنّه "ليس في بلاد السودان شيء من الفواكه الرطبة إلا ما يجلب إليها من التمر من بلاد سجلماسة أو بلاد الزاب، يجلبه إليهم أهل ورقلان الصحراء."[6]

يبيّن ليفتسكي أن المصادر المكتوبة في العصور الوسطى شاهدة بصورة غير قابلة للتشكيك على أنّ الصحراء كانت محورا لولوج القبائل المغربية من الشمال والسودانيين من

---

[1] بل، الفرد، *الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم*، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1969، ص150.

[2] فقيه أباضي، عالم ورع من أقطاب الدّين. الدّرجيني، المصدر السابق، ج1، ص104؛ الشماخي، المصدر السابق، ج2، صص 542-545.

[3] ذكرت ورقلة في صور لفظية متعددة ومختلفة، سنتناولها لاحقا عند الحديث عن تسميتها وتكوينها وجغرافيتها. ولكن اعتمدت في هذه الدراسة اسم ورقلة لأنها التسمية المعروفة اليوم.

[4] أبو زكريا، المصدر السابق، صص 188-189.

[5] موسى لقبال، "من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى: مكتبة المعصومة بتاهرت، هل أحرقت أو نقلت عيونها إلى سدراتة في جوار بني وارجلان؟"، في مجلة *الأصالة*، وزارة التعايم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، د.ت، العدد 41، ص 58.

http://archive.org/steam/Asaladz/Asala-41 .

[6] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص20.

الجنوب[1]، فهي لم تكن حاجزا بين الشمال والجنوب بل محورا نشطا في التجارة بين طرفيها[2]. وازداد هذا النشاط التجاري بتدفق الذهب والعبيد إلى الشمال مقابل السلع التي يحتاجها أهل السودان ومن أهمها الملح. فكان لهذه المناطق أكثر من بعد بالنسبة للأباضيين (اجتماعي واقتصادي واستراتيجي).

فاجتماعيّا مثلت هذه المناطق مواطنهم الأصليّة، إذ أن القبائل التي أنشأت الإمارة الأباضية وساندتها كانت من المناطق الداخليّة. أما البعد الاقتصادي، فيتمثّل في أنّ هذه المناطق تعدّ من أهم مناطق تجارة العبور بين أسواق الشمال وأسواق بلاد السودان. دون أن ننسى أهميّة الجانب الإستراتيجي، فبُعد المسافة النِّسبي بين مواطن الأباضية وبين مركز الخلافة الفاطمية من ناحية وقلّة موارد هذه المناطق من ناحية أخرى جعل الفاطميين يصرفون النظر عن هذه التجمعات.

إذا، إن توجه الأباضيّة بعد سقوط تاهرت (297هـ/909م) نحو الجنوب حيث استقرت جموعها في منطقة العبور إلى بلاد السودان (ورقلة) –التي إزدهرت باستقرار الأباضيين بها[3]– كان اختيارا موضوعيّا كما سبق وأن أشرت.

---

[1] Lewicki, " Traits d'histoire du commerce transsaharien, marchands et missionnaires ibadites en Sudan Occidental et central au cours du VIII-XII siècles", dans *Etnografia Polska*, Warsaw, 1964, Vol VIII, p. 291.

[2] بوفيل، ا. ي، *تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير*، تنقيح هاليت روبن، ترجمة الهادي بولقمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988، ص17.

[3] النّامي، عمرو خليفة، "ملامح عن الحركة العلمية بورجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجري"، في مجلة *الأصالة*، وزارة التعايم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، د.ت، العدد42-43، ص 17.

http://archive.org/steam/Asaladz/Asala-42.43;

Chaba Mohamed, "Une vieille cité devenue métropole : Ouargla" (Note), In *Méditerranée*, tome 99, 3-4, 2002. Le Sahara, cette «autre Méditerranée» (Fernand Braudel) p. 103.

إن استقرار هذه التجمعات في هذه المنطقة دون غيرها يحيلنا إلى التساؤل التالي: هل أن استقرارهم في ورقلة كان من أجل إنشاء مجتمع أباضي مستقل عن الشمال له مقومات العيش من التجارة وحسب أم هي محاولة للسيطرة على المناطق السودانيّة لإيجاد أسواق بديلة عن تلك التي في الشمال؟ وفي محاولة للإجابة عن هذا التساؤل سأتناول في الصفحات التالية علاقات ورقلة التجارية مع الشمال والجنوب.

علاقات أباضيي ورقلة التجارية مع شمال وجنوب الصحراء بعد قيام الدولة الفاطميّة

قبل البحث في العلاقات التجارية بين ورقلة وشمال وجنوب الصحراء سأعرّج على تعدد تسميات المدينة وتاريخ تأسيسها ثم موقعها وإمكانياتها الإقتصادية، وبدرجة أولى التجارية منها. وإن كانت الدراسة تنطوي على مفهوم النشاط التجاري بما يحمله من معنى للديناميكيّة التجارية، التي تستوجب النظر في جميع المؤسسات الخاصة بها من طرق وأسواق وسلع وأسعار ومعاملات...، فإنّ ندرة المعلومات حول هذه المؤسسات تجعل الدراسة تأخذ مسارا أحاديا؛ وهو البحث في العلاقات التجارية المجرّدة، حيث سيكون ذكر السلع والأسعار والمعاملات ... منوطا بما يتوفر من معلومات عنها.

لم تشر المصادر الأولى، التي كان مدار اهتمامها التأريخ للدويلات والامارات وما يقع في دائرة الحضارة الاسلامية من أقاليم ومدن إلى ورقلة، إلا بعد قيام "الدولة" الرستمية في القرن الثاني للهجرة (الثامن للميلاد). فذكرتها المصادر الأباضية التي أرّخت للرستميين واعتنت بأعلام المذهب الاباضي (ابو زكرياء، الوسياني، الدّرجيني، الشماخي). وتردد ذكرها في المصادر التاريخية والجغرافية وكتب الرحلة بدءا بالبكري، فالادريسي والزهري وابن سعيد... وانتهاءً بابن خلدون والحسن الوزان وغيرهما.

لقد ورد ذكر ورقلة في مؤلَّف البكري كما في طبقات الدّرجيني وسير الوسياني وسير الشمّاخي، بإسم وارجلان[1]. وحذف منها الألف الأولى، أبو زكرياء الذي أرّخ للأئمة الرستميين وتحدث عن هجرتهم إليها[2]، كما كان شأنها عند ياقوت الحموي، فجاءت في معجمه ورجلان[3]. وأشار إليها كل من الإدريسي والزُهري بإسم وارقلان[4]. وذكرها ابن سعيد بإسم واركلان[5]. أمّا ابن خلدون فأشار إليها تسميات عدّة منها واركلا[6] وواركلة[7] ووركلة[8] وواركلي/واركلى[9]. وذكرها الحسن الوزان بإسم وركلة[10]. أمّا العدواني، فذكرها بالإسم المتداول في عصرنا الحاضر، وهو ورقلة[11].

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص881؛ الدّرجيني، المصدر السابق، ج2، صص 332،331، 342، 343، 344، 373، 374 وفي أماكن متفرقة من الكتاب؛ الوسياني، أبو الربيع سليمان بن حسان، *سير الوسياني*، تحقيق ودراسة عمر بن لقمان حمو سليمان بو عصبانة، وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، 2009، ج1، صص273، 314، 336، 344، 347، 374 وفي أماكن متفرقة من الكتاب؛ الشماخي، المصدر السابق، ج2، صص338، 450، 459، 526 وفي أماكن متفرقة من الكتاب.

[2] أبو زكريا، المصدر السابق، ص 189 وما بعدها.

[3] الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، مج5، ص371.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، صص20، 24، 29؛ الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، *كتاب الجغرافية*، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، صص112، 116، 119.

[5] ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى، *كتاب الجغرافيا*، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط2، 1982، ص 126.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج11، صص 75، 356، 415، 418، 419، ج12، صص596، 663، ج13، صص98، 106، 119.

[7] المصدر نفسه، ج13، ص99.

[8] المصدر نفسه، ج13، ص10.

[9] المصدر نفسه، ج11، ص 199، ج12، صص 917، 921، 924، 925، ج13، صص279، 282، 688.

[10] الوزان الفاسي، الحسن بن محمد، *وصف إفريقيا*، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج2، ص136.

[11] العدواني، محمد بن محمد بن عمر، *تاريخ العدواني*، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1996، صص90، 260.

إنّ هذا التعدّد والإختلاف في رسم "ورقلة" في المصادر العربيّة يعود على الأرجح إلى الإختلاف في نطق الكلمة في لسان العرب، كما يذهب إلى ذلك ابن خلدون. [1]

من جهة أخرى، اختلفت حول ماهية ورقلة. فكانت عند البكري "... سبعة حصون للبربر، أكبرها يسمّى أغرم أن يكامّن، أي حصن العهود..."[2] ويشير الزهري إليها تارة بمدينة وطورا ببلاد، فيذكر "وآخر عمل القيروان في الجنوب مدينة وارقلان...."[3]، "ويُدخل "ويُدخل من هذه المدينة [وارقلان] إلى هذه البلاد [بلاد السودان]..."[4]، "وفي المشرق [من [من جناوة] آخر بلاد وارقلان..."[5] ويوافقه في ذلك ابن سعيد الذي يقول "... ومدينتها التي تسمى واركلان... وهي بلاد نخل وعبيد..."[6] ويصفها الحسن الوزان، بأنّها مدينة، فيقول "وركلة مدينة أزلية..."[7]

أمّا صاحب الإستبصار، فيشير إليها بالبلد/البلاد. فيقول "وإن أردت الطريق من تادمكة إلى القيروان، فإنك تسير في صحراء 50 يوما إلى بلد وارجلان في طرف الصحراء مما يلي إفريقية: وهو بلد خصيب... وفيه سبع مدن مسوّرة حصينة تقرب

[1] "أن العرب وضعت لكل شيء إسما، وأنّ استعمالها إنّما هو لأوضاعها التي من لغتها ارتحالا واشتقاقا. وهذا إنّما هو في الأكثر، وإلاّ فالعرب قد استعملت كثيرا من غير لغتها في مسمّاه، إمّا لكونه عَلَمًا فلا يُغَيَّر... وإما استعانة وتخفيفا لتداوله بين الألسنة... فتصير باستعمال العرب كأنها من أوضاعهم. ويسمونها المعرّبة. وقد يغيرونها بعض التغيير في الحركات أو في الحروف وهو شائع لهم لأنّه بمنزلة وضع جديد... وقد يكون الحرف من الكلمة ليس من حروف لغتهم فيبدلونه بما يقرب منه في المخرج. فإنّ مخارج الحروف كثيرة منضبطة وإنّما نطقت العرب منها بالثمانية والعشرين حروف أبجد. وبين كل مخرجين منها حروف أكثر من واحد منها ما نطقت به الأمم ومنها مالم تنطق..." المصدر السابق، ج13، صص 13-14.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص881.

[3] الزهري، المصدر السابق، ص112,

[4] المصدر نفسه، ص119.

[5] المصدر نفسه، ص125.

[6] ابن سعيد، المصدر السابق، ص126.

[7] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص136.

بعضها من بعض... وهي بلاد كثيرة الزرع والضرع والبساتين..."[1] ويحذو حذوه ابن خلدون، فيذكرها بقوله "بلد واركلي قبلة بجاية، بلد واحد مستبحر العمران كثير النخل..."[2] وأيضا "وهذا البلد لهذا العهد باب لولوج السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان... "[3]، كما يصفها أيضا بالمصر.[4] ويشير إليها ياقوت الحموي بالكورة، بالكورة، فيقول "كورة بين إفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات..."[5]

مما سبق يتضح أن ورقلة لم تكن مدينة بقدر ماهي منطقة تضمّ قرى[6] وقصورا[7] وحصونا[8] ومدنا[9]. وجاء في مخطوط يخص تاريخ مشايخ المنطقة الممتدة من ورقلة إلى إلى فزان الذي اكتشفه شارل فيرو في جامع نقوصة، أنها كانت تضم 325 مدينة و1051 عين ماء[10]. إذا فورقلة كانت تعني في ذات الوقت المدينة والإقليم، وهي تشبه في ذلك قسطيلية التي كانت تعني في ذات الوقت مدينة توزر، وبلاد الجريد الشاسعة

---

[1] مؤلف مجهول (مراكشي من القرن 6هـ/12م)، *كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار*، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، بغداد، 1986، ص224.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج11، ص199.

[3] المصدر السابق، ج13، ص107.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج13، ص106.

[5] الحموي، المصدر السابق، مج5، ص371.

[6] يذكر الدّرجيني أن ايفران من قرى وارجلان. المصدر السابق، ج2، ص386. ويذكر الحسن الوزان ان بضواحي ورقلة عدد لا يحصى من القرى. الوزان، المصدر السابق، ج2، ص136.

[7] من قصور وارجلان يذكر الدّرجيني قصر بكر، ويذكر الشماخي قصر وراديرن. الدّرجيني، المصدر السابق، ج2، ج2، ص344؛ الشماخي, المصدر السابق، ج2، ص565. ويشير ابن خلدون إلى أن بها "قصورا متقاربة الخطة"، المصدر السابق، ج13، ص 106. ويذكر الحسن الوزان أيضا أن بضواحيها عدة قصور. الوزان، المصدر السابق، ج2، ص136.

[8] البكري، المصدر السابق ، ج2، ص881.

[9] مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص224.

[10] Féraud, L. Charles, " Les Ben-Djellab soultans de Tougourt, Notes historiques sur la province de Constantine", dans *Revue africaine*, A. Tourdan, Librairie-éditeur, Alger, Juillet 1886, Vol.30, P.263.

والتي كان مركزها توزر.[1] ويبدو أن مرد الاختلاف في تحديد ماهية ورقلة، تغيّر وضعيتها وضعيتها السياسية–الادارية عبر القرون وفق ما وصفها به المؤلفون العرب الذين أدرجناهم بتراتب زمني.

لئن تعددت الاشارات حول تسمية ورقلة، أي كيفية نطق إسمها في المصادر العربية في العصرالاسلامي (وارجلان، ورجلان، واركلان، وركلة، واركلا، وارقلان) وتعددت الاشارات إلى ماهيتها (مدينة، بلاد، بلد، كورة)، فإن المعلومات بالمقابل عن تاريخ تأسيسها تبدو شحيحة. فلا نجد له ذكرا، حسب علمي، إلا في مولَّفي ابن خلدون والحسن الوزان. فيشير ابن خلدون إلى أن ورقلة أو كما جاءت في عِبَره واركلا، تنسب لبني واركلا وهم احدى بطون زناتة الذين "كانت مواطنهم قبلة الزاب، واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد... بنوها قصورا متقاربة الخطة. ثم استبحر عمرانها، فائتلفت وصارت مصرا."[2] مصرا."[2] أمّا الحسن الوزان، فيذكر أنها "مدينة أزليّة بناها النوميديون في صحراء نوميديا*..."[3] تحيلنا هاتان المعلومتان إلى استنتاجين: الأول يتمثل في أنّ من أسس ورقلة هي القبائل الزناتية التي كانت تسكن الزاب ثم اتجهت جنوبا حيث موقع ورقلة؛ أما الثاني فيتمثل في أن تأسيسها كان في العهد الروماني إثر الإستيلاء على نوميديا الذي كان بدءا من 46ق.م[4]. فالزناتيون قد هاجروا من مواطنهم وسكنوا الحزام الشمالي من

---

[1] Virginie Prevost, « Une tentative d'histoire de la ville ibadite de Sadrāta », *Mélanges de la Casa de Velázquez* [En ligne], 38-2 | 2008, p.5. Mis en ligne le 15 novembre 2010, consulté le 29 février 2016. URL http://mcv.revues.org/822.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج13، ص106.

[3] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص136.

* نوميديا اسم أطلقه اللاتينيون ويقابله عند العرب بلاد الجريد " حيث ينبت النخيل..." الوزان، المصدر السابق، ج1، ص29.

[4] بوفيل، المرجع السابق، ص70.

الصحراء[1]، "فارين من ضغط الاستعمار الروماني الاستيطاني الذي طردهم من أراضيهم الخصبة لغرض استغلالها في الزراعة ولبناء المستوطنات لرعاياه... وما إن وصلوا إلى منطقة بالصحراء يتوفر فيها الماء والكلأ، حتى نزلوا بأرضها وشرعوا في بناء قصورها، وغرس نخيلها."[2]

إن وقوع ورقلة على مشارف الصحراء، بكل ما تحمله هذه الأخيرة من معاني الجدب، لم يمنع من توفر المياه بها. فقد كانت العيون الجارية مصدرها، و"بلغ عددها إحدى وخمسين وألف عين، ومنها خاصة عين الصفا التي تأتي مياهها من سدراتة... وعين القبائل في ناحية يفرن وعين الحواس بناحية نقوصة."[3] كما مثلت الآبار موردا أساسيا للماء في ورقلة وإن كانت عملية استخراجها مضنية وغريبة. ويشير إلى ذلك كل من ابن خلدون والحميري. فيذكر الأوّل "وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى. وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة، فُتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها، ثم تصعج الفَعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها عن الماء، فينبعث صاعدا فيفعم البئر، ثم يجري على وجه الأرض واديا. ويزعمون أنّ الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شيء. وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتيكورارين ووركلا وريغ."[4] أمّا الثاني فيقول: "العجب أن الرجل منهم [من أهل ورقلة] يحفر فيها بئرا بأزيد من مائة دينار، فإنّ أرضهم صلبة والماء بعيد، وينزل إليه من يعرف كيف ينقره

---

[1] المرجع السابق، ص100؛ Gsell, Stéphane, *Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, Tome V: Les royaumes indigènes* (*Organisation social,politique et économique*), Librairie Hachette, Paris, 1927, p. 3.

[2] ذكار، أحمد، مدينة ورقلة التسمية والتأسيس (دراسة تاريخية)، في *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة–الجزائر، ديسمبر 2014، العدد17، ص166.

[3] بوعصبانة، عمر سليمان، *معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان (296-626هـ/909-1229م)*، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف محمد ناصر، المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر، وزارة الجامعات، الجزائر، السنة الدراسية 1991-1992، ص13.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج13، ص119.

مربوطا في حبال وثيقة. وينقره، فيفور الماء... ويبقى الماء على مرّ الدهور يفور. وهكذا جميع آبارهم."[1]

وخوّلت وفرة المياه لورقلة أن تكون مكان استقرار "كثير الزرع والبساتين"[2] و"كثيرة النخل والخيرات"[3]. ويشير الدّرجيني إلى وفرة النخيل بها عند ذكره للمراسلة التي تمت بين أبي صالح جنون بن يمريان وبين ابن عم له في المغرب، يدعو فيها الأخير أبا صالح القدوم عليه والاستقرار معه لوفرة الحبوب عندهم فيقول له: " يا ابن عمي إيتني فإنّك قمت في أرض فقر، فإنّ عندنا أرضا كريمة، قدر الكساء يحمل البعير وسقه حبّا... فأجابه أبو صالح: يا ابن عمي إيتني، فإنّ عندنا أرضا قعدة الرجل يحمل البعير وسقه عسلا."[4]

ومن خلال ما سرده الدّرجيني بخصوص حيلة اهل ورقلة لإيهام أبي عبيد الشيعي بوفرة المياه عندهم حتى يفك حصاره لهم لدليل على أهمية انتاج الزيتون بورقلة ومنه يعصر الزيت. فيذكر الدّرجيني أنهم ملأوا قصاعا كبارا زيتا ووجهوا إليها الجمال الكثيرة لتشرب. فكانت هذه الأخيرة ترفع رأسها عن القصاع بعد أن تكرع منها وتنفض عنها ما شربت لعدم استساغته، فيتطاير الزيت, وعند رؤية الجند الشيعي ذلك حسبه ماءً، ففك الحصار.[5] أما الإدريسي، فيشير إلى أنها كانت تصدر الحنطة لأهل زغاوة[6].

وبما أن ورقلة كانت موطن استقرار، فإنه من البديهي أن تقوم بها بعض الحرف التي يحتاجها أهلها. ولئن تصمت المصادر عن ذكر تفصيلات حولها أو ذكر أنواع المصنوعات، فإن الدّرجيني بذكره أنّ أبا صالح الياجراني كان قد حمل على جمله حمل

---

[1] الحميري، محمد بن عبد المنعم، *كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار*، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص600.

[2] المصدر نفسه، ص600.

[3] الحموي، المصدر السابق، مج5، ص371.

[4] الدّرجيني، المصدر السابق، ج2، ص343.

[5] المصدر نفسه، ج1، ص95.

[6] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص111.

ثياب لرجل وارجلاني إلى تادمكة[1]، نستشف وجود صناعة النسيج بورقلة. كما لا يستبعد قيام حرف تعتمد على المواد المتوفرة في ورقلة، من بينها صناعة السلال والحصر اعتمادا على سعف النخيل، وصناعة القرب والنعال اعتمادا على الجلود، والأواني الفخارية اعتمادا على الطين.

لئن خولت المياه قيام نشاط زراعي في ورقلة وبعض الحرف الموازية له، فإن النشاط الإقتصادي الذي اعتمدت عليه في إزدهارها كان رّعي وتربية الأغنام[2] والإبل على وجه الخصوص والتجارة وهما نشاطين مكملين لبعضهما البعض. إذ ارتبط نشاط ورقلة التجاري بالإبل لإعتمادهم عليها في النقل والتنقل. ويبدو أن أهلها قد امتلكوا ثروة حيوانية مهمة من الإبل وكانوا يزاولون – وفق ذلك– الرّعي. فورقلة كغيرها من المناطق الواقعة في شمال الصحراء كانت المنفذ إلى تجارة العبيد والذهب. و"نقل الذهب الملتقط مسألة تتصل بالتجارة التي كان يقوم بها الجمالون من البربر عبر الصحراء إنطلاقا من مراكز الإيداع [في الجنوب] حتى محطات القوافل على حافات الصحراء من الشمال."[3]

تُعدّ تربية الجمال من أبرز الأنشطة الاقتصادية في ورقلة كغيرها من المناطق الصحراوية. فالجمال رفيق الصحراوي، وعليها يعوّل. فمن لحمها يأكل، ومن لبنها يشرب، كما يستعمل جلودها ووبرها. ولقد اعتنى الورقلانيين بتربيتها في المناطق المحيطة بورقلة، كما يُستشف من النص الذي ذكر فيه الدّرجيني نصيحة الشيخ يعقوب بن سهلون لرجل قدم من دمر إلى ورقلة، أن يشتري جمالا ويتركها ترعى في "ايفدانن طوم" الواقعة بين ورقلة واندرار[4]. وذكر في موضع آخر أنّه كان لأبي صالح الياجراني إبل في أدرج بالقرب

---

[1] الدّرجيني، المصدر السابق، ج2، ص375.

[2] ذكر أبو زكريا أن أبا القاسم سليمان بن موسى كانت له اغنام كثيرة ترعى في اندرار من أحواز ورقلة. ابو زكريا، المصدر السابق، ص286.

[3] لومبار، موريس، *الإسلام في مجده الأول (ق2-5هـ8-11م)*، ترجمة إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1990، ص164.

[4] الدّرجيني، المصدر السابق، ج2، ص332.

بالقرب من ورقلة[1] وقد جلب بعضها إليها لبيعها[2]. ولم يعتن أهل ورقلة بهذه الثروة الحيوانية لحاجتهم إليها في حياتهم اليومية فحسب، بل لأنّ الجمال سهلت عليهم التنقل في المنطقة الصحراوية التي يقطنونها، نظرا للخصائص التي يمتاز بها. فالجمل لقدرته على شرب كمية كبيرة من الماء في غضون دقائق والاحتفاظ بها واستهلاكها خلال أيام وحتى أسابيع، يعتبر أكثر الحيوانات صبرا وتحملا للعطش[3]، كما أنّه لا يحتاج إلى كثير من الغذاء مقارنة بغيره من الحيوانات الداجنة. فالجمل يستهلك ما يتوفر من الأعشاب والنباتات حتى الشوكيّة منها وهو يسير، فلا يستلزم اجتراره غذاءه استقراره بالمكان،[4] كما أنّه يتأقلم مع حرارة الطقس[5]، فالجمل "من بين جميع الدّواب الأقل كلفة لصاحبه والأكثر فائدة له"[6]، وفي مجال التنقل في المناطق الصحراوية، يعتبر الأصلح إذ يستطيع "حمل مابين 120 و150 كلغ ويمكنه أن يقطع 30 كلم في اليوم الواحد في مجالات القفر، أي بمعدل 3.5 و4 كلم في الساعة، واليوم من المشي يتراوح مابين 10 ساعات و11 ساعة[7].

---

[1] المصدر السابق، ج2، ص373.

[2] المصدر السابق، ج2، ص374.

[3] يستطيع الجمل أن يشرب 100 لتر من الماء في دقائق، فخلال عشر دقائق يشرب ثلث وزنه أي بمتوسط 15 لتر في الدقيقة الواحدة. ووفقا لذلك، يمكنه الاستغناء عن الماء لمدة أسبوع في فصل الصيف، ومابين 7 و 10 أيام في فصلي الخريف والربيع. أما في فصل الشتاء، فيمكنه الاستغناء عن شرب الماء ما بين 4 و6 أسابيع. Ministère de l'agriculture, du développement rural et des pêches maritimes) direction de l'élevage, *Elevage du dromadaire*, p.4.

http://www.fellah-trade.com/ressources/pdf/Elevage_dromadaire.pdf

[4] المرجع نفسه، ص3.

[5] المرجع نفسه، ص5.

[6] مارمول كارباخ، *إفريقيا*، ترجمة محمد حجي ومحمد زنيبرومحمد الأخضر وأحمد توفيق ومحمد بنجلون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984، ج1، ص71.

[7] علوي، حسن حافظي، *سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي*، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، 1997، ص344.

لقد مكّن الجمل أهل ورقلة الواقعة في طرف الصحراء[1] من إختراق هذا المجال القاحل والمشاركة في التجارة الصحراوية إن لم نقل أنهم أصبحوا سادتها[2]. فورقلة التي كان يطلق عليها العرب سلطانة الواحات والتي كانت منذ غابر الأزمان مركزا فعالا وعاصمة كل المنطقة الصحراوية الواقعة في بين شمال وجنوب الصحراء[3]، كانت "بوابة السودان والممر والممر الواجب سلوكه من طرف رجال القوافل الذين يربطون بين منطقة التل بقسنطينة وبين بلاد العبيد والذهب."[4] ومن الجدير بالذكر أنّ اعتناق سكان ورقلة المذهب الأباضي الأباضي – مذهب عاصمة الرستميين المركز الاقتصادي المهم في بلاد المغرب– كان قد ساعدها لأن تجد لها موضع قدم في المراكز التجارية المغربيّة. فاتخذها التجار مركزا للتوغل منه إلى الصحراء سواء منهم أباضيو المغرب أو التجار المشارقة الوافدين على عاصمة الأباضيين تاهرت.

ولعلّ من أبرز الدلائل على نشاط ورقلة التجاري، ما ورد في كتب الرحّالة والجغرافيين من تعديد للطرق الرابطة بين الشمال والجنوب وبين الغرب والشرق مرورا بورقلة. فيذكر البكري أنّه "... إنْ أردت من تادمكة إلى القيروان، فإنّك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان... ومنها إلى مدينة قسطيلية أربعة عشر يوما... وبين وارجلان وقلعة أبي طويل ثلاثة عشر يوما."[5] كما يبيّن الإدريسي أهميتها كمحور وسط نشط في التجارة بين بلاد المغرب وبين بلاد السودان[6] واتصالها بالمشرق، فذكر المسافة بينها وبين جبل نفوسة نفوسة إثنتا عشر مرحلة[7]. أما الزهري فأشار إلى أنّه يُدخل من ورقلة إلى بلاد السودان

---

[1] الحميري، المصدر السابق، ص600.

[2] يذكر علوي أنّه "... من المعروف أن الجمل ساعد إلى حد كبير على انعاش القطاع التجاري عبر الصحراء الكبرى، إن لم يكن المسؤول الأول عن ظهوره." المرجع السابق، ص343.

[3] فيرو. المرجع السابق، ص 259.

[4] برنشفيك، روبار، تاريخ إفريقيّة في العهد الحفصي، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج1، ص328.

[5] البكري، المصدر السابق، ج2، ص881.

[6] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص20.

[7] المصدر نفسه، مج1، ص279.

وصولا إلى مدينة كوكو وهي حاضرة الحبشة[1]، "ويُخرج منها جلب الصحراء من العبيد والخدم[2]، وأن مدينة فرافون التي تقع شرقي غانة بنحو 20 فرسخا هي أقرب مدائن الصحراء إلى وارقلان"[3]. ويشير الدّرجيني إلى أنها الوسيط بين سجلماسة وجربة[4].

صفوة القول، أن أهم نشاط اقتصادي في ورقلة كان التجارة عبر الصحراء، بين الشمال والجنوب للإعتبارات السالفة الذكر. إلا أن المعلومات حول ذلك تبدو متفاوتة. ففي حين تشير مصادر القرن (4هـ/10م) اشارات عابرة، تسهب مصادر القرن (5هـ/ 11م) وما بعده في تفصيلها.

إن عدم اهتمام المصادر بذكر معلومات عن علاقة ورقلة التجارية مع شمال وجنوب الصحراء في غضون القرن (4هـ/10م)[5]، يعود بالدرجة الأولى إلى ضعف التّجمع الأباضي في ورقلة، زد على ذلك أن أغلب الأباضيين فضلوا البقاء في الشمال. كما يمكن الإشارة إلى أن ورقلة، التي كانت طرفا في فلك الإمامة الرستميّة، لم يذكر المؤلفون إمكانياتها كما فعلوا مع المركز تاهرت.

أما عن توفّر المعلومات في القرن (5هـ/ 11م) وما بعده فلصيقة بتطور ورقلة السياسي والاقتصادي. ذلك أنها لم تكن خاضعة أو تابعة لدولة أو إمارة، وإنّما كانت تدار محليّا من قبل مجلس العزابة[6] "الهيئة المتنفّذة". فهذا المجلس كان يدير شؤونها وينظّم أمورها، وفي أوقات الخطر كان يدافع عنها[1].

---

[1] الزهري، المصدر السابق، ص123.

[2] المصدر نفسه، ص119.

[3] المصدر نفسه، ص126.

[4] الدّرجيني، المصدر السابق، ج2، ص502.

[5] نجد بعض الإشارات في المصادر الأباضية عن علاقات تجارية بين ورقلة وبين والشمال وبلاد السودان اثناء هذه هذه الفترة (ق 4هـ / 10م) لدى كل من والدّرجيني والشماخي. فكان أهل ورقلة يبيعون الثياب بتادمكة، كما يتجرون بالشب مع قلعة بني حماد. الدّرجيني، المصدر السابق، ج2، ص472؛ الشماخي، المصدر السابق، ج1، صص 237، 239؛ ج2، ص564.

[6] عزابة، مفردها عزابي وهو كلمة مشتقة من الفعل عزب. وهي تعني البعد أو الإمتناع والعزوف عن الشيء. والعزابة هم المنشغلون بالحياة الروحية عن الحياة الدنيوية. ولا يهتمون بهذه الأخيرة إلا فيما يخدم الصالح العام

اتسع نشاط ورقلة الاقتصادي نتيجة لنشاط أهلها التجاري، مستفيدة من موقعها على الخطوط التجارية من جهة ومن ثروتها من الجمال "سفن الصحراء" من جهة أخرى. وتحصّلت على عائدات مهمة، فأصبحت "... مدينة ... قبائل مياسير وتجار أغنياء."[2] كما يمكن إحالة وفرة المعلومات عن العلاقات التجارية بين ورقلة وبين غيرها من المناطق – في القرن (5هـ/ 11م) ومابعده – إلى ظهور تجمّع كبير في ورقلة (ثقل بشري)[3] إثر هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب[4]. وقد كان من نتائج هذه التغريبة الهلالية أن إضطربت أحوال بلاد المغرب (خاصة منطقتي إفريقيّة والمغرب الأوسط) وهجره العديد من متساكنيه إلى المناطق الساحلية والجنوبيّة[5] "لسوء أحوالهم وانقطاع أسفارهم."[6] وكان لإزدياد عدد سكان ورقلة غير المتوازن وإمكانياتها الاقتصادية الداخلية قد حدا بهم إلى مضاعفة مزاولة التجارة.

والانقطاع إلى خدمة العامة. ويكون مجلس العزابة المتكون من عدد محدد من الأشخاص في المسجد أو في مكان مصاقب له. ويشرف العزابة على شؤون المجتمع الأباضي دينيا وتعليميّا وسياسيا. ويكون في فترة الدفاع والظهور مجلس شورى للإمام ، أما في فترة الكتمان فهو يمثل الإمام ويقوم بعمله. لمزيد من المعلومات عن هذا التنظيم، أنظر: روبيرتو روبيناتشي، العزابة – *حلقة الشيخ محمد بن بكر– (وثيقة قديمة عن حياة نسّاك الصوامع في الإسلام)*، ترجمة لميس الشجني، إعداد للنشر وتقديم موحمد ؤمادي، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافيّة– سلسلة أبحاث التاريخية (6)، 2006. ولمزيد من المعلومات عن العزابة ونظام الحلقة التي ينظمون إليها، أنظر الدرجيني، المصدر السابق، ج1، صص 171–183.

[1] معمر، علي يحي، الأباضية في موكب التاريخ – الأباضية في الجزائر–، مكتبة وهبة، مطبعة الدعوة الإسلامية، القاهرة، 1979، 382.

[2] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص296.

[3] ذكر الدّرجيني تواجد أشخاص من القيروان ومن بلاد ريغ في ورقلة. الدّرجيني، المصدر السابق، ج2، صص431–445.

[4] لمزيد من التفاصيل حول هجرة بني هلال أنظر، ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، صص289–295، ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، صص55–57.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، مج11، ص43.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، صص56.

لقد وردت بعض الإشارات إلى علاقات تجارية قائمة بين ورقلة وبين المراكز التجارية المغربية (تلمسان، الزّاب، القيروان، قلعة بني حماد...) قبل التغريبة الهلالية، ولكن إنتفى ذكرها بعدها. فقلعة بني الطويل التي كان يرتادها تجار الشّب من الورقلانيين، والذين كان لهم سوق هناك مخصوص بهم يسمى "موقف الشّب"[1]، قد هجرها سكانها إلى مدينة بجاية[2] واختفت كمركز تجاري[3]. والقيروان بعد أن كانت "قاعدة الأقطار وأعظم مدن الغرب وأيسرها أموالا وأربحها تجارة وأنفقها سلعة"[4]، قد "تعطّلت أسواقها"[5] وأصبحت ممرا عابرا[6].

وبالنظر في علاقات ورقلة التجارية مع سجلماسة، يتبيّن عدم إنقطاعها. فيذكر الدّرجيني في إطار حديثه عن الطبقة الثانية عشر، أنّ أبا يحي زكريا ابن صالح اليراسني[7] "وصل ذات مرّة من سجلماسة إلى ورجلان ثم خرج من ورجلان إلى جربة."[8] كما يمكن القول بأن العلاقات التجارية بين ورقلة وجبل نفوسة لم تنقطع، وذلك لوحدة المذهب المعتنق من جهة، ولأنّ الاتصال بينهما كان أفقيا دون التوغل في مناطق الشمال من جهة أخرى. خاصة وأنّ مدينة شروس قاعدة جبل نفوسة لا تزال تذكر باعتبارها مدينة تجارية مهمة في القرن (VIهـ/XIIم)[9].

---

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 472.

[2] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص261.

[3] موسى، عز الدين أحمد، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، دار الشروق، بيروت، 1983، ص308.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص184.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص291.

[6] موسى، المرجع السابق، ص308.

[7] فقيه أباضي من جربة ، كان يشتغل بالتجارة مع بلاد السودان.

[8] الدّرجيني، المصدر السابق، ج2، ص502.

[9] Lewicki, *Etudes maghrébines et soudanaises*, I, Edition scientifique de Pologne, Varsovie, 1967, p.31.

ويُعزى إنقطاع العلاقات التجارية بين ورقلة والمراكز التجارية المغربية في المغربين الأدنى والأوسط إلى تعطّل "الطريقين التجاريين الصحراويين... الشرقي والأوسط كليّا أو جزئيا بسبب الهجرة الهلالية... وما رافقها من اضطراب سياسي واقتصادي في كثير من مناطق المغربين الأدنى والأوسط."[1] بالإضافة إلى فقدان التجار الأباضيين الرقابة والسيطرة على الطريق الشرقي لصالح الطريق الغربي."[2]

إن مسار العلاقات التجارية بين ورقلة والمناطق المغربية، يبيّن بما لا يدع مجالا للشك ضرورة التوجه نحو الجنوب، نحو بلاد السودان لمزاولة التجارة.

إنّ علاقات أباضيي ورقلة بالجنوب/ بلاد السودان لم تكن وليدة هذا العصر أو منوطة بهذه التطورات وفقدان أسواق الشمال، بل هي امتداد لما كان منذ عهد الإمارة الرستميّة (160-162هـ/776-778م). فتذكر المصادر الأباضية أن أفلح بن عبد الوهاب قد عزم على القيام برحلة تجارية إلى كوكو، إلا أن والده عارض ذلك لتوقّفه في مسألة ربا سأله فيها[3]. ولعلّ في ذكر ابن الصغير لوفادة أفلح لمحمد بن عرفة[4] – أثناء إمامته (208-258هـ/823-871م) – إلى ملك السودان بهديّة دليل على هذه العلاقات[5]. كما

---

[1] الشيخلي، صباح إبراهيم، "النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية ق5هـ/11م" في كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984، ص38.

[2] Brett, Michael, " Ifriqiya as a market for Saharan from the tenth to the twelfth century a.d", in *journal of africain history*, X.3, 1969, p.361.

[3] الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص327؛ الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص361.

[4] هو صهر الإمام إبي بكر أفلح، إذ تزوج من أخت الإمام، وقد علا شأنه وكان متنفذا حتى قيل أن الامارة كانت بالإسم لأبي بكر وبالحقيقة لمحمد بن عرفة. ابن الصغير، المصدر السابق، ص72.

[5] ربما يقصد ببلاد السودان، كوكو، التي كان يريد زيارتها في عهد والده عبد الوهاب (171هـ-208هـ/787-823م). ابن الصغير، المصدر السابق، ص71.

يمكن الإستشهاد بما جاء في مؤلف ابن حماد من أن كيداد والد أبي يزيد[1] "كان يختلف إلى بلاد السودان، فاشترى بتادمكت أمة تسمّى سبيكة. فحملت منه وولدت أبا يزيد وهو أعرج وفي لسانه شامة. فذهب به أبوه كيداد إلى عرّاف بمدينة كوكو."[2]

تحيلنا المصادر إلى وجود علاقات تجارية بين ورقلة وبلاد السودان، سواء كان الشرقي أو الأوسط أو الغربي، إلا أنّها تتفاوت من حيث الأهميّة. فورقلة اشتهرت بتجارتها مع السودان الأوسط والغربي (تادمكة، جاو، غانا، ونقارة...)، أما السودان الشرقي (زغاوة، كوار، تنبكتو...) فقد كان ذا علاقات واسعة مع فزّان في الأغلب[3]. ومع ذلك وردت بعض الإشارات إلى العلاقات التجارية بينه وبين ورقلة.[4]

إنّ وقوع ورقلة في جنوب المغرب الأوسط قد جعل إتصالها بالمناطق المجاورة أو بالأحرى الواقعة على طريقها التجاري أمرا بديهيّا. فكان أن توطدت علاقتها مع السودان الأوسط وخاصة بتادمكة الواقعة جنوبها، والتي أُعتبرت المنفذ إلى كوكو، بمسير خمسين يوما في الصحراء[5]. ويشير المؤرخون الأباضيون (الوسياني، الدّرجيني) إلى وجود هذه العلاقة ابتداءً من القرن (4هـ/10م). فيُذكر أنّ "أبا صالح الياجراني ساق جمالا له من

---

[1] أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني وكانت سكناه بسدادة من تقيوس التي نشأ بها. إنظمّ إلى الأباضية النّكار. وقاد ثورة ضد الفاطميين سنة 332هـ/943م واستولى على عدة مناطق وصولا إلى قاعدة إفريقية القيروان التي سقطت بيده وحاصر المهدية. إلا أنه انهزم وتم القبض عليه وقتله المنصور، كان ذلك سنة 336هـ/ 947م. أبو زكريا، المصدر السابق، ص175؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص96؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، صص 216-220.

[2] ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، مطبعة جول كربوبل، الجزائر،1927، ص18.

[3] لمزيد من التفاصيل أنظر: Martin. B. G, " Kanem, Bornu and Fazzan, notes on the political history of a trade route", in *Journal of africain history*, XI, 1969, pp. 15-27.

[4] يذكر الإدريسي أن أهل زغاوة الذين كانت لهم تجارات يسيرة، كان يجلب لهم الحنطة من بلاد وارقلان و"أنّ أهل مدينة أنكلاس [وهي من أكبر بلاد كوار وأكثرها تجارة وعندهم معدن الشبّ] كانوا يتجولون حتى ينتهوا في جهة المشرق بلاد مصر ويتصرفون في جهة المغرب فيصلون بلاد وارقلان..." الإدريسي، المصدر السابق، ج1، صص29، 111، 117.

[5] البكري المصدر السابق، ج2، ص881.

القبلة ليبيعهم في وارجلان، فاشترى منها رجلا جملا. فسأل الرجل الثمن، فقال له ثمن جملك في تادمكت. فجهّز أبو صالح للسير معه إلى تادمكت. فأخذ جملا ليركبه، فقال له رجل آخر: احمل لي على جملك حمل ثياب، فأجابه إلى ذلك. فقال أبو صالح: بكم أبيع حملك، قال بكذا وكذا. فوصل الشيخ تادمكت، فساوم الحِمل، فبقي له مما رسم له صاحبه شيء يسير، نحو ثلاثة أرباع القيراط، فلم يبعه. فرجع به قافلا إلى وارجلان. وما سمعنا بحمل رجع من تادمكت قط إلى وارجلان غيره..."[1]

يمكن أن يستشف من هذا النّص أنّ الحركة التجارية بين ورقلة وتادمكة كانت نشطة، كما يتضح من خلاله أن السلعة المتبادلة هي الثياب من ورقلة مقابل الذهب على الأرجح

إنّ التواصل التجاري بين ورقلة وتادمكة بقي نشطا، ووفقا لما يستجد من ظروف في الشمال المغاربي قد فرض على الورقلانيين تعميق علاقاتهم التجارية مع الجنوب، كما سبق وأن ذكرنا، ومع تادمكة على وجه الخصوص. فيذكر أبو عمر عثمان السوفي أنّ تملي الوسياني وهو أحد أهل القصور، كان يسافر باستمرار إلى تادمكة حتى أصبحت له ثروة ذهبية كبيرة هناك، "... فجعل يبعث من تادمكت كل سنة ستة عشر كيس، كل كيس فيه خمسمائة دينار..."[2] وبالرغم من أن هذا التاجر ليس من أهل ورقلة إلا أن الطريق الذي يسلكه وغيره من تجار الجريد إلى تادمكة هو طريق ورقلة. وكذلك الأمر بالنسبة لتجار جبل نفوسة[3] وجربة[4] وغيرهما من مناطق إفريقيّة.

[1] الوسياني، المصدر السابق، ج2، صص 803-804؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، صص 374-375.

[2] الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص551؛ الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص602.

[3] الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص553.

[4] كان الشيخ أبا يحي زكريا اليراسني قد خرج مرّة في قافلة من سجلماسة إلى وارقلة ومنها إلى جربة " ومعهم قرب مائتي ألف وخمسين ألفا ذهبا وتبرا." الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص649. ويذكر الدرجيني أنها "مائتين وخمسين مثقالا ذهبا تبرا." الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص502.

وإن كانت تادمكة منفذا للدخول إلى بلاد كوكو، فإنّها أيضا بوابة إلى بلاد السودان الغربي، مما جعلها محط أنظار أباضيي بلاد المغرب دون الاقتصار على أهل ورقلة. فيذكر البكري أن بين تادمكة ومدينة كوكو تسع مراحل[1]. وكانت هذه الأخيرة تتاجر بالملح وهو نقدهم، يُحمل إليهم من بلاد البربر يقال لها توتك مرورا بتادمكة[2]. ويذكر بوعصبانة واعتمادا على فتوى للشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني بخصوص "من سرق الملح من وارجلان وهو في السودان، أن عليه بردّ قيمته أو إرجاعه إلى الموضع الذي أخذ منه..."[3] أنّه من المحتمل أن تكون سباخ ورقلة " أماكن تجمّع الملح وبيعه وتصديره إلى بلاد السودان."[4] ويشير الإدريسي بطريقة لا مباشرة إلى إتصال ورقلة بكوكو عند ذكره لعود الحيّة الذي ينبت بهذه الأخيرة مبرزا أن الورقلانيين يعرفونه[5].

بالرغم من أنّ المصادر – المواكبة للفترة قيد الدراسة – لا تذكر ما كان يبيعه أهل كوكو، فإنّ ما يذكره ليون الإفريقي، وإن كتب في فترة متأخرة، من أنّ تجارة كوكو مع ورقلة هي الذهب والعبيد[6]، يمكن أن يؤخذ بعين الاعتبار. فلا يستبعد أن تكون التجارة بينهما – في الفترة قيد الدراسة– قائمة على هاتين السلعتين، خاصة وأنّ الإدريسي قد ذكر وفرة الذهب عند أهل كوكو.[7] كما يمكن التأكيد على ذلك من خلال بعض الإشارات إلى تجارة العبيد في ورقلة التي تعدّ إحدى البوابات الرئيسة لبلاد السودان، استخدامهم كيد

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص883.

[2] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص28.

[3] بوعصبانة، المرجع السابق، ص155. جاء في كتاب الدليل والبرهان " ومن غصب مالا قيمة له، كمن غصب ملحا في وارجلان فقدر على الغاصب في بلاد السودان استأديناه الملح أو قيمته هنا في هذا الموضع الذي قدرنا عليه فيه." الورجلاني، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، *الدليل والبرهان*، تهذيب الطباعة بواسطة فريق العمل بشبكة الدرة الإسلامية، مكتبة الكتب الإسلامية، ج3، ص63، www.aldura.net.

[4] الورجلاني، المصدر نفسه، ص155.

[5] الإدريسي، المصدر السابق ، ج1، ص28.

[6] Lewicki, *Etudes maghrébines*..., *Op.cit.*, p.40.

[7] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص28.

عاملة بها في الزراعة وكنس العيون وخدمة البيوت[1]. فذكر ابن سعيد أنه "منها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وإفريقيّة." [2] وذكر الدرجيني أنّ الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر وهو في إيفران إحدى قرى ورقلة قد "وجّه محبوبا وأبا محمد من تين يسلي إلى وارجلان ليشتريا له أمة..." [3] كما أشار في موضع آخر إلى كثرة الإماء بورقلة بقوله "غارت غارة لبعض العرب على ورجلان فساقوا عدة من الإماء..."[4]

وكانت غانة من أهم المراكز التجارية التي كان الورقلانيون يرتادونها، فهي مصدر أهم سلعتين تجاريتين آنذاك، وهما الذهب والعبيد[5]. فيذكر ابن الفقيه بشيء من المبالغة والخيال "أنّ بلاد غانة ينبت فيها الذهب نباتا في الرمل كما ينبت الجزر ويقطف عند بزوغ الشمس."[6] ويؤكد البكري كثرة الذهب بغانة بوصفه ما يزدان به قصر ملكها من ذهب[7]. أمّا الإدريسي فيذكر أنّها مصدر مهم للرقيق.[8]

---

[1] أبو زكريا، المصدر السابق، ص246.

[2] ابن سعيد، المصدر السابق، ص126.

[3] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، صص188-189.

[4] الدرجيني، المصدر نفسه، ج2، ص434.

[5] بوفيل، المرجع السابق، ص152. Albergoni Gianni, "Les Bédouins et les échanges: la piste introuvable", dans *Cahiers des sciences humaines*, 1990, 26 (1-2), 1990, p.203.

[6] ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني، *مختصر كتاب البلدان*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988، ص83.

[7] البكري، المصدر السابق، ج2، صص872-873.

[8] "فأهل غانة كانوا يغيرون على "بلاد لملم ويسبون أهلها ويجلبونهم إلى بلدهم، فيبيعونهم إلى التّجار الداخلين إليهم، إليهم، فيخرجهم التجار إلى سائر الأقطار..." الادريسي، *صفة المغرب وأرض السودان ومصر... مأخوذ عن كتاب نزهة المشتاق*، ص4. Edrisi, Abou Addallah, *Description de l'Afrique et de l'Espagne*, Texte arabe publié pour la première fois d'après les manuscrits de Paris et Oxford avec une traduction des notes et un glossaire par Reinhart. P.A, Dozyef Michael. J.Degoeje, Amesterdam oriental press, O.P, 1964, p.4.

ولعلّ من الدلائل على العلاقات التجارية بين ورقلة وغانة ما أورده السّوفي من أنّه كان لمحمد بن رستم ابن يُسمّى عمران كان مسافرا في غانة[1]. ويمكن أن نتبيّن أنّ العلاقات التجارية بين ورقلة وغانة وإن لم تتخذ وجهة مباشرة، يكون فيها أهل ورقلة العنصر الحيوي في التجارة، فإنّ وقوعها على الطريق إلى غانة الذي كان يسلكه أهل نفوسة وبلاد قسطيلية يؤكد هذه العلاقات . فيذكر السّوفي أنّ أبا عمران موسى وولده هارون بن سدين من الحامة قد مرّا بورقلة متجهين إلى غانة ومنها إلى غياروا[2]. كما مرّ بها أيضا الشيّخ إسماعيل بن علي النفزاوي في طريقه إلى غانة[3]. ويبين ليفتسكي أن الطريق من ورقلة إلى غانة أكثر أهميّة من طريق ورقلة–تادمكة–جاو، ذلك أنّ مدينة غانة تعتبر البوابة التي يدخل منها تجار بلاد المغرب إلى بلاد الذهب ونقارة[4] وإلى بلاد التكرور.

لقد ارتاد التجار الأباضيون ونقارة. فيذكر الإدريسي أنّ أهل ورقلة كانوا يشترون الذهب منهم بكثرة حتى أنّهم "قد أخرجوه في دور السكك في بلادهم، فضربوه دنانير..."[5] أمّا عن عن إتصالهم ببلاد التكرور، فيمكن القول بأنها ليست بحديثة بل هي إستمرار لما كان من علاقات. فيذكر الشماخي أن ركب التكرور قد وصل إلى شروس، فلم يؤخذ من تجاره مكوسا، وأَمر أبو عمرو ميمون بن محمد الشروسي – وقد كان حاكم جبل نفوسة آنذاك– "بإغلاق الأسواق والبروز إلى التكرور من أجل الانتفاع بالبيع والشراء[6]. فمن خلال ماذكر الشماخي، نتبيّن أن حركة تجارية قد ظهرت بين جبل نفوسة وبلاد التكرور مرورا بورقلة. كما كان للورقلانيين إتصال تجاري بمدينة زافون أيضا. ولكن في طريقهم إليها كانوا يسلكون طريق ورقلة–سجلماسة–أودغست–غانة وصولا إلى زافون[7]. ويحيلنا ذلك

---

[1] الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص614.

[2] المصدر نفسه، ج2، صص566–567.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص689؛ الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص691.

[4] Lewicki, *Etudes maghrébines...*, *Op.cit.*, p.41.

[5] الادريسي، نزهة المشتاق...، ج1، ص24.

[6] الشماخي، المصدر السابق، ج2، 431.

[7] Lewicki, *Etudes maghrébines...*, *Op.cit.*, p. 53.

إلى القول بأن إتصال ورقلة بغانة قد إتخذ طريقين. الأول: ورقلة–تادمكة–غانة. والثاني: ورقلة–سجلماسة–أودغست–غانة.

لئن كان الذّهب والعبيد سلعتي التجارة بين ورقلة وبلاد السودان بإمتياز، فإنّ التجارة في الذهب كانت الأكثر ممارسة على ما يبدو، وذلك لأنّها الأقل تعبا والأوفر ربحا. فالمتاجر في الذهب يكون حمله خفيف ولا يتطلب جهدا في التنقل به، في حين أن المتاجر بالرقيق عليه الإهتمام بهم ورعايتهم حتى يصل بلده. فيقع على عاتقه إيواءهم ومعاشهم وتمريضهم ومراقبتهم حتى لا يفرّ أحد منهم.[1]

ولا تقدم لنا مصادرنا معلومات وافية عن المعاملات التجارية التي يتم وفقها التبادل التجاري بين ورقلة والمناطق السودانيّة، بإستثناء ما ذكرته بعض المصادر الأباضية وكتب الجغرافيا. فأشار الدرجيني إلى الوكالة التجارية من خلال ذكره لخروج أبي صالح إلى تادمكة لبيع ثياب رجل ورقلاني[2]. وذكر الإدريسي المقارضة[3] فقال: "أنّ أهل كوكو يداخلون التجار ويجالسونهم ويبضعونهم بالبضائع من جهة المقارضة."[4] أمّا الحموي فقد ذكر بشيء من التفصيل ما يتم خلال التعامل التجاري بين تجار بلاد المغرب والسودانيين من تجارة صامتة المقترنة بالمقايضة كما يذهب إلى القول لومبار[5]. فيقول الحموي أنّ تجار بلاد المغرب بعد أن يصلوا إلى غانة "ينزلون فيها ويتطيبون ثم يستصحبون الأدلاء ويستكثرون كم حمل المياه ويأخذون معهم جهابذة[6] وسماسرة لعقد المعاملات بينهم وبين

---

[1] الوسياني، المصدر السابق، ج1، صص446–447.

[2] الدّرجيني، المصدر السابق، ج2، ص375؛ الوسياني، المصدر السابق، ج2، صص 803–804.

[3] المُقارَضة هي المُضاربة عند أهل المدينة. وهي أن يكون المال لأحد طرفيها ويعمل الآخر فيه على قسم معلوم من الربح ... وقيل المقارضة هي المجازاة، فرب المال ينفع المضارب بماله، والمُضارب ينفع رب المال بعمله. عمارة محمد، *قاموس المصطلحات الإقتصادية في الحضارة الإسلامية*، دار الشروق، بيروت، 1993، صص552–553.

[4] الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص28.

[5] لومبار، المرجع السابق، ص336.

[6] الجهابذة مفردها جهبذ وهي كلمة فارسية . والجهبذ "من عمال الديوان: هو النقّاد للنقد من الذهب والفضّة، العارف العارف بتمييز جيده من رديئه. وهو الصيرفي ومهنته الجهبذة." عمارة، المرجع السابق، ص156.

أرباب التبر... وساروا مجدين بعناء شديد حتى يقدموا الموضع الذي يحجز بينهم وبين أصحاب التبر، فإذا وصلوا ضربوا طبولا معهم عظيمة تسمع في الأفق الذي يسامت هذا الصنف من السودان... فإذا علم التجار أنّهم سمعوا الطبل أخرجوا ما صحبهم من البضائع (الخرز الأزرق، أسورة نحاس، حلق، خواتيم نحاس لا غير)، فوضع كل تجار ما يخصه من ذلك. كل صنف على جهة ويذهبون عن الموضع مرحلة فيأتي السودان ومعهم التبر، فيضعون إلى جانب كل صنف منها مقدارا وينصرفون، ثم يأتي التجار بعدهم، فيأخذ كل واحد ما وجد بجنب بضاعته من التبر، ويتركون البضائع وينصرفون بعد أن يضربوا طبولهم..."[1] ويذكر العمري "أنّ المعاملة في بلاد التكرور بالودع، وأنّ التجار أكثر ما تجلب إليهم الودع وتستفيد به فائدة جليلة."[2]

من هنا يمكن القول أن التعامل التجاري بين ورقلة وبلاد السودان إستوجب وجود وكالات ووسطاء وأدلاء. ويؤكد لومبار على ذلك بقوله "أنّ البيوت التجارية في محطات القوافل في الجنوب تحتفظ بشبكة من المراسلين الذين يعملون لشراء الذهب لحسابها بالمقايضة الصامتة"[3] مقابل الملح، الذي يعدّ سلعة في غاية الأهمية بالنسبة لأهل السودان لإنعادمه عندهم ولحاجتهم إليه. ويشير العمري إلى ذلك بقوله " أنّ الملح معدوم في داخل بلاد السودان، فمن الناس من يغرّر، ويصل به إلى ناس منهم يبذلون نظير كل صبرة ملح مثله من الذّهب." [4]

---

[1] الحموي، المصدر السابق، مج2، ص12.

[2] العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحي بن فضل الله، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: الممالك الإسلاميّة في اليمن والمغرب والأندلس وأفريقيا*، تحيق محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزايمة ويوسف أحمد بن ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2001، ج4، ص71.

[3] لومبار، المرجع السابق، ص336.

[4] العمري، المصدر السابق، ج4، ص 76.

ولا يستبعد استعمال التجار الأباضيين الصكوك إذا ما أسقطنا ما أورده ابن حوقل من أنه رأى صكا على ورقلة بأودغست[1].

أمّا عن القوافل وكيفيّة تنظيم مواعيد خروجها، فلا نجد لها إشارة إلا في العموم. فيذكر ابن حوقل أنها تخرج في الشتاء بقوله "وبين بلاد المغرب... وبلد السودان مفاوز وبراري منقطعة قليلة المياه، متعذرة المراعي لا تسلك إلا في الشتاء."[2] ويشير الإدريسي إلى أنّها تخرج في الخريف لحرارة الطقس ، فيقول "وهذه الصحراء يسلكها المسافرون في زمان الخريف، وصفة السير بها أنّهم يوقرون أجمالهم في السَّحر الأخير، ويمشون إلى أن تطلع الشمس ويكثر نورها في الجو ويشتد الحر على الأرض، فيحطون أحمالهم ويقيدون أجمالهم ويعرسون أمتعتهم ويخيمون على أنفسهم ظلالا تكنّهم في حر الهجير وسموم القائلة، ويقيمون كذلك إلى أوّل وقت العصر. وحين تأخذ الشمس في الميل والانحطاط في جهة المغرب يرحلون من هناك ويمشون بقية يومهم ويصلون به المشي إلى وقت العتمة ويعرسون أيّما وصلوا ويبيتون بقيّة ليلهم إلى أوّل الفجر الأخير ثم يرحلون وهكذا سفر التجار الداخلين إلى بلاد السودان."[3]

ولعله من الجدير بالذّكر أن المرور بالصّحراء فرض على التجار أن يتنقلوا بصفة جماعيّة حتى يأمنوا الطريق. وكان لابد لهم من أدلاء لهم دراية بمسالك الصحراء التجارية خاصة وأنّ رمال الصحراء غير ثابتة فتتغير معالم الطرق إثر العواصف الرملية. وقد يكون للقافلة الورقلانية كما في غيرها من القوافل التي تعبر الصحراء الى جنوبها "قائد القافلة وبعض مساعديه من الذين يستحيل نجاح الرحلة بدونهم كما هو الحال بالنسبة للتكشيف والدليل."[4]

---

[1] Levtzion, Nehemia, " Ibn Hawqal, the cheque and Qwdaghost", in *Journal of Africain history*, IX, 2, 1968, pp. 223-233.

[2] ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، *صورة الأرض*، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص100.

[3] الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص107.

[4] علوي، المرجع السابق، ص 376.

لم يكن نشاط التجار الأباضيين – وغيرهم من المغاربة – ليقتصر على مزاولة النشاط التجاري وحسب بل تعداه إلى نشر الإسلام.[1] فيذكر البكري " أنّ مدينة غانة مدينتان سهليتان، أحدهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها إثنا عشر مسجدا، أحدها يُجمع فيه، ولها الأيمة والمؤذنون والراتبون، وفيها فقهاء، وحملة علم ... ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمَّى بالغابة... وفي مدينة الملك مسجد يصلّي فيه من يفد عليه من المسلمين، على مقربة من مجلس حكم الملك... وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه."[2] ومن خلال هذا النّص نستشف إنتشار الإسلام في السودان الغربي، كما يمكن القول بأنّ عدد المسلمين لم يكن ضئيلا ويدلّ على ذلك وجود إثني عشر مسجدا. علما بأنّ من بينهم مستوطنون مغاربة؛ خاصة إذا ما أدركنا أنّ نشر الدين الإسلامي وتعاليمه تستوجب عناية ومتابعة من قبل الدّعاة. كما يذكر البكري أيضا أّن أهل التكرور مسلمون في زمنه، فيقول: "... أهلها سودان وكانوا على ما كان سائر السودان عليه من المجوسيّة وعبادة الدكاكير، والدكور عندهم الصنم، حتى وليهم وارجابي بن رابيس فأسلم وأقام عندهم شرائع الإسلام وحملهم عليها وحقق بصائرهم فيها. وتوفي وارجابي سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة، فأهل التكرور اليوم مسلمون"[3]. أما الدّرجيني فيذكر أنّ ملك مالي قد أسلم على يد علي ابن يخلف سنة 575هـ/1179م[4]. ويذكر الشماخي أن ركبا من التكرور قد أسلم على يد أبي عمرو ميمون بن محمد الشروسي[5]. كما ذكر أنّ أبا يحي بن أبي القاسم الفرسطائي قد سافر

---

[1] Albergoni Gianni, *Op.cit.*, p.203.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، صص 871-872.

[3] وكذلك الأمر بالنسبة لمدينة سلى التي تبعد عن مدينة غانة مسيرة عشرين يوما. البكري، المصدر نفسه، ج2، ص868.

[4] الدّرجيني، المصدر السابق، ج2، ص517.

[5] الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص431.

إلى بلد السودان واستطاع أن يستقطب ملكهم فأسلم على يديه[1]. ويذكر ابن بطوطة – في فترة متأخرة – أنّه وجد قوما من الأباضيين في صحراء مالي شمالا[2].

ولعلّه من الجدير بالذكر أنّ نشر الإسلام في بلاد السودان لم يكن حكرا على أهل ورقلة أو الأباضيين فحسب، بل كان مهمّة اضطلع بها التجار المغاربة الوافدين على بلاد السودان عامة. وكان أن تلازمت ممارسة التجارة والدّعوة للإسلام. وشهدت الكثير من المدن السودانية مثل غانة وجاو وأودغست وتادمكة والتكرور وغيارو وزافون وكوغة، ومنذ القرن (2هـ/8م)، حضورا للتجار الأباضيين القادمين من تاهرت وورقلة وبلاد الجريد وجبل نفوسة...[3] كما رافق تبعا لنشر الإسلام نشر اللغة العربيّة، لغة القرآن الكريم، ونشر أنواع من المعالم الحضارية المعمارية الإسلامية أيضا[4].

تبيّن من خلال الدراسة أنّ توجّه الأباضية إلى الجنوب/منطقة الواحات (ورقلة) والإستقرار به لم يكن إعتباطيّا بقدر ما كان حلّا موضوعيّا إرتآه الأباضيون. في مرحلة أولى، فرارا من القوات الفاطميّة في أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع ميلادي. وفي مرحلة ثانيّة، فرارا من الهلاليين الذين دخلوا بلاد المغرب في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي. خاصة وأنّ هذه المناطق تمثّل المواطن الأصلية لأغلب عناصرها.

---

[1] المصدر نفسه، ج2، ص478.

[2] حركات، إبراهيم، "دور الصحراء الإفريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط"، في *مجلة البحوث التاريخية*، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،1981، سنة 3، عدد1، ص36.

[3] Collectif, Histoire générale de l'Afrique, l'Afrique du VIIe au XIe siècle, Directeur M. El Fasi, Co-Directeur I. Hrbek, UNESCO, Paris, 1997, vol.3, p. 79.

[4] شاخت.م، نقلا عن Lewicki, "Quelques extraits inédits relatives aux voyages des commerçants et des missionnaires Ibāḍites Nord Africains au pays du Soudan Occidental et Central au Moyen âge", dans Folia Orientalia, Plogne, 1960, Tome2, p. 1.

ويبدو أن توجه الأباضيين إلى المناطق الجنوبيّة قد حكمته أوضاع اقتصادية أيضا. فمنطقة الواحات (ورقلة) كانت البوابة التي ينفذ منها تجار الشمال إلى ما وراء الصحراء والعكس. فكان أن ارتبط هذا التوجه نحو الجنوب بقيام نشاط تجاري واسع مع بلاد السودان الأوسط والغربي على وجه الخصوص. واتضح ذلك من خلال العلاقات التجارية التي وقع تفصيلها. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا النشاط التجاري مع الجنوب لم يمثل ظاهرة جديدة للحركة التجارية النشطة بين شمال وجنوب الصحراء في العصر الوسيط. ولم يقتصر نشاط هؤلاء الأباضيين على التجارة وحسب بل تعداه إلى نشاط حضاري، على قدر من الأهميّة، في المناطق السودانية التي أمّوها واستقروا بها. فكان للأباضيين الدور البارز في نشر الإسلام واللغة العربية وأسهموا في خلق كيانات إسلاميّة في المناطق السودانيّة مسدين خدمة للعالم الإسلامي ومعبّرين على أنّ نشر الدين الإسلامي في المناطق السودانية لم يكن عن طريق الحملات العسكرية (الحرب) بقدر ما كان سلميّا ونتيجة للتواصل بين المسلمين (تجار ودعاة) وبين السودانيين الوثنيين.